العربية واللغات السامية
في
المجتمع العربي القديم

أ٠د / أحمد عارف حجازي

كلية دار العلوم
جامعة المنيا

مقدمة

نظر اللغويون العرب القدماء إلى اللغة العربية نظرة إعجاب وإكبار وتقديس ؛فمن قائل إنه لا يحيط بها إلا نبى ، وقائل إنها أفضل اللغات وأكملها ، وقائل إنها لغة أهل الجنة . إلى غير ذلك من تلك الآراء التى كان منبعها هو حرصهم الشديد عليها وعلى تعلمها ، بوصفها لغة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وانطلاقاً من تلك النظرة المقدسة للغة العربية ، وجدنا هؤلاء اللغويين يغضون الطرف عن غيرها من اللغات السامية ؛ التى عرفوا بعضها آنذاك ؛ دون معرفة أوجه التشابه بينها وبين العربية . كما عابوا كثيراً من اللهجات العربية التى انبثقت عن اللغة الفصحى . ولذلك وقفوا بالاستشهاد اللغوى عند عصر معين ؛ لم يتجاوزوه ، وسموه عصر الفصاحة والاحتجاج ، ورفضوا كل ما جاء بعده من استخدام لغوى .

وهذا الكتاب محاولة للإجابة عن سؤال مؤداه :

- هل عرف العلماء العرب القدامى اللغات السامية ؟ وكيف كانت معرفتهم تلك ؟ وإذا كانوا قد عرفوها فلماذا لم يقم عندهم درس مقارن بين العربية وأخواتها الساميات ؟

ولما كان الكتاب يقوم على تلك الفكرة المتعلقة بتلك اللغات السامية، فقد كان لابد من التعريف بتلك اللغات ؛ فى فصل مستقل بها؛ يبين أقسامها ، والموطن الأصلى للغة الأم التى تفرعت عنها تلك اللغات ، وأقرب لغة إليها ، وخصائص هذه اللغات على المستويات اللغوية الأربعة ؛ صوتاً ، وصرفاً ، وتركيباً ، ودلالة . ثم يعرض لأهم العلماء الذين تناولوا هذه اللغات بالدرس المقارن ؛ سواء من المستشرقين أم العرب المحدثين .

وفى الفصل الثانى بينت معرفة المجتمع العربى باللغات السامية أو إحداها ، وقد جاء ذلك فى مرحلتين ؛ الجاهلية وصدر الإسلام . حيث اختلط العرب آنذاك باليهود الذين انتشروا فى أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فعرف بعض العرب منهم اللغة العبرية ؟ وكان غرضهم فى ذلك دينياً . كما بينت أن رحلتى الشتاء والصيف كان لهما أثر كبير فى اطلاع بعض العرب على بعض اللغات السامية آنذاك .

وفى صدر الإسلام حاولت أن أحلل المجتمع الإسلامى الذى التف حول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان فيه غير العرب؛ الذين احتفظوا بلغاتهم الأصلية إلى جانب العربية . وقد اختلط اليهود بهذا المجتمع الصغير ، فكان ذلك دافعاً لتعلم اللغة العبرية .

وفى الفصل الثالث تعرضت للعلماء العرب الذين عرفوا اللغات السامية أو إحداها ، وقد قسمتهم ثلاثة أقسام :

المفسرون ، وعلماء أصول الفقه ، واللغويون .

ورأيت أن أجعل ابن قتيبة ضمن المفسرين ، وذلك لأنى أخذت نصوصاً ؛ تدل على معرفته باللغات السامية أو إحداها ؛ من كتابيه عن القرآن الكريم؛ وهما تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن .

وكانت طريقتى فى الكشف عن معرفة هؤلاء العلماء اللغات السامية هى قراءة ما كتبوا ، ثم تحليله والاستنتاج منه ؛ لمعرفة مدى فهمهم لتلك اللغات ، وكيفية استثمار هذه المعرفة فى التحليل .

فإن أك أصبت فالخير أرجو ، وإن تكن الأخرى فحسبى أنى اجتهدت ، والله حسبى ، عليه توكلت وإليه أنيب .

د . أحمد عارف حجازى

منسافيس فى ٥ / ٩ / ١٩٩٤ م

الفصل الأول

اللغات السامية

تعريفها - أقسامها - تدوينها - خصائصها - الباحثون فيها

يتناول هذا الفصل موجزاً سريعاً عن اللغات السامية فيذكر تعريفها وأنواعها وأقسامها ، وبداية تسميتها بذلك ، وصاحب تلك التسمية ، ثم يذكر خصائصها التى تشترك فيها ، وهى الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية .ثم ما هى اللغة الأقرب للغة السامية الأم ؟ وما هو موطن هؤلاء الساميين الأوائل ، وما هى أحدث لغة ، ومن هم العلماء الذين اهتموا بالبحث فى مجال اللغات السامية من العرب والغربيين ؟

وهو فصل لا يهتم بالتفاصيل ؛ إذ إنها مبثوثة فى كتب كثيرة قبل ذلك الكتاب ؛ وهو مانشير إليه فى حينه . بل يعرض فقط ، بعد أن جمع تلك المعلومات من مصادرها .

تعريفها :

يطلق مصطلح (اللغات السامية) على لغات الأسرة التى تنتمى إلى الفصيلة السامية الحامية ؛ طبقاً لتقسيم علماء اللغة للفصائل اللغوية فى العالم . وأول من أطلق اسم (اللغات السامية Semetic Languages) على هذه الأسرة ؛ هو اللغوى الألمانى شلوتسر Schlozer . وذلك فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى سنة ١٧٨١ م . (١)

وقد استقى هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب ؛ الموجود فى العهد القديم .(٢) حيث تنسب هذه اللغات إلى سام بن نوح عليه السلام.

وتضم هذه الأسرة اللغوية لغات الشعوب التى تسكن الآن، وسكنت قديماً ، شبه الجزيرة العربية ، واليمن ، والحبشة ، وبلاد الشام ، والعراق .

اقسامها :

وقد قسم العلماء هذه اللغات إلى قسمين رئيسين هما :

القسم الغربى :

وينقسم بدوره إلى قسمين آخرين ؛ هما :

القسم الجنوبى الغربى ، الذى يضم اللغة العربية ، والمعينية ، والسبئية ، والحميرية ، والحبشية ؛ التى تضم اللغة الجعزية ، والأمهرية .

---

(١) انظر : فقه اللغات السامية ١١ وتاريخ اللغات السامية ٢ ، ٣ والعربية واللغات السامية ٣٣٥ ، وفصول فى فقه العربية ٢٥ وفقه اللغة ٦ ، ٧ وعلم اللغة العربية ١٣٣ ودراسات فى فقه اللغة ٤٧ والمفصل فى تاريخ العرب ١/٢٢٣

(٢) سفر التكوين : الإصحاح العاشر . ونصه كما يلى :« وهذه مواليد بنى نوح سام وحام ويافث ..." العهد القديم ١٦وأورد الطبرى فى ذلك الشأن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم وحام أبو الحبش » . انظر : تاريخ الطبرى ١ / ٢٠٩ .

أما القسم الشمالى الغربى فيضم اللغة الكنعانية والآرامية ، ولكل منها أقسام . فاللغة الكنعانية تنقسم إلى قسمين ؛ شمالى ، ويضم اللغة الأوجاريتية ، وجنوبى ، ويضم اللغة العبرية ، والفينيقية واللغة الآرامية تضم اللغة المنداعية ، والسريانية .(١)

وقد كانت اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) من اللغات السامية، ولكنها « انفصلت فى زمن مبكر جداً ، وسارت منذ آلاف السنين فى طريقها الخاص » (٢) .ويرى أحد الباحثين أن القدماء المصريين كانوا يستعملون اللغة الأكادية فى علاقاتهم الخارجية مع دول المنطقة الممتدة بين الفرات والبحر المتوسط . (٣)

ومن الباحثين فى علاقة المصرية القديمة باللغات السامية :

د . أحمد بدوى

د . رمسيس جرجس

د . عبد المنعم الكاروري

وقد رأوا أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين المصرية واللغات السامية

---

(١) انظر : تاريخ اللغات السامية ٢ والعربية واللغـات السامية ٣٣٧ وفقه اللغات السامية ١٢ ، ١٣ وفقه اللغة ٧ وعلم اللغـة العربيـة ٣٥ ، ١٣٤ ودراسات فى فقه اللغة ٤٩ - ٥٢ وفصول فى فقه العربية ٢٦ - ٣٦ والفلسفة اللغوية ٢٥ - ٣٨ ، ٤٨ ونشأة اللغة ٧٢ والمفصـل فـى تاريـخ العرب ١ / ٢٢٣، ٢٢٤

- H. A. Gleason ; An Introduction to Discriptive Linguistics ; P . 463, 464

- Encyclopeadia Britannica ' 10 / 27 .

(٢) فقه اللغات السامية ١٣ وانظر : تاريخ اللغات السامية ١٨

- H. A. Gleason ; An Introduction to Discriptive Linguistics ; P . 463 .

- E. H . Sturtevant ; Linguistic Chang ; P . 5 .

(٣) انظر : العربية واللغات السامية ٣٣٣ .

فى الضمائر والأفعال وبعض الأسماء . (١)

اقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم :

اختلف العلماء فى أصل اللغات السامية وأقدم لغة سامية وأقربها إلى اللغة الأم المفقودة ؛ ولهم فى ذلك أربعة أقوال هى :

١- العربية هى أقدم لغة .

٢- العبرية هى أقدم لغة .

٣- الآشورية هى أقدم لغة .

٤- البابلية هى أقدم لغة . (٢)

ورغم أن علماء اللغة العرب لم يفطنوا إلى اللغات السامية إلا قليل منهم ، إلا أن منهم من حكم بأن اللغة السريانية هى الأقدم والأقرب إلى اللغة الأم . (٣) ولعل اللغة العربية هى اللغة الأقدم والأقرب للغة السامية الأم ، لما فيها من ثروة لفظية عظيمة ، ودلالات مختلفة للفظ الواحد ؛ كالترادف ، والتضاد ، والمشترك اللفظى ، وتصاريف الفعل الزمنية ، وكثرة استخدام الضمائر وأنواعها ، ووجود ظاهرة المثنى فيها وحدها ، ووجود الإعراب ، واحتفاظها بكثير من الأصوات غير الموجودة فى أخواتها الساميات ؛ كالثاء والذال والظاء والغين والخاء والضاد . (٤)

ومع ذلك لم يستطع اللغويون المحدثون التخمين بشأن اللغة

---

(١) انظر : العنصر السامى ٤٧ ، ٤٨

(٢) انظر: فقه اللغة ١٥ ، ١٦ودراسات فى فقه اللغة ٤٨ والفلسفة اللغوية ٥٠ وتاريخ اللغات السامية ٦ ، ٧

(٣) وقد قال بذلك ابن حزم الأندلسى ، انظر : ص٥٢ من هذا الكتاب .

(٤) بعض هذه الأصوات موجود فى العبرية والسريانية فى شكل تغير سياقى ؛ وهى الثاء والذال والخاء ؛ كما أن الضاد موجود فى اللغة الحبشية . انظر : السريانية ٤٨ وفى قواعد الساميات ١٦، ١٧ ، ٣٠٤ وفقه اللغات السامية ٤٩ ، ٥٠ والمدخل إلى علم اللغة ٢١٥ ، ٢١٦

السامية الأم ، على أى صورة كانت وما ألفاظها الأساسية وكيفية تكوين كلماتها وتركيب جملها ؟

موطن الساميين الأول :

كما اختلف العلماء فى أصل اللغة السامية ، وأقدم لغة وأقربها إلى اللغة السامية الأم ، فقد اختلفوا فى الموطن الأول للساميين ؛ وذلك على ستة آراء هى :

١- جنوب غرب شبه الجزيرة العربية (اليمن) ، وقد قال بذلك رينان Rinann وكارل بروكلمان K . Brokelemann وفلبى Feleppi . (١)

٢- ضفاف الفرات ودجلة (بين العراق وأرمينيا) ، وممن قال بذلك فون كريمر Von Kremer و جويدى Guidi وهومل Hommel . (٢)

٣- بلاد الحبشة وقال به بلكريف Belkrif . (٣)

٤- شمال أفريقيا ، وقال به جيرلند Gerland . (٤)

٥- سوريا وأرض كنعان ، وقال به جون بيترس John Beaters . (٥)

٦- الحجاز ونجد ، وقال بذلك شبرنجر A. Sprenger . (٦)

ويلاحظ أن تحديد الموطن الأول للساميين يعتمد على مناطق طرد السكان ومناطق جذبهم ؛ فى هجراتهم التى يتنقلون خلالها من مكان إلى آخر . ولذلك يرى بعض العلماء أن الحجاز ونجد يعدان مناطق طرد

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربى ١ / ٤١ ودراسات فى فقه اللغة ٤٨ .

(٢) انظر : الفلسفة اللغوية ٤٠ ، والمفصل فى تاريخ العرب ١ / ٢٢٩ – ٢٣١ .

(٣) انظر : المفصل فى تاريخ العرب ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٤) انظر : المرجع نفسه ١ / ٢٣٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١ / ٢٣٨ .

(٦) انظر : فقه اللغات السامية ١٢ وفقه اللغة ١٠ – ١٤ وتاريخ اللغات السامية ٤ ، ٥ وفصول فى فقه العربية ٣٨ – ٤٢ والفلسفة اللغوية ٣٩ – ٤١ والمفصل فى تاريخ العرب ١ / ٢٢٩ – ٢٣٤ .

للسكان إلى اليمن جنوباً ؛ والعراق والشام وأرمينيا شمالاً ، وشمال أفريقيا غرباً . ولذلك يرجحون أنه هو الموطن الأول للساميين ثم تفرقوا فى المناطق المذكورة واختلفت لغاتهم . (١)

تدوين اللغات السامية :

تعد الكتابة أمراً مهماً ، وذلك لحفظ اللغة فى مراحلها المختلفة . وهناك خلافات كثيرة بين اللغة المنطوقة (Spoken Language) واللغة المكتوبة (Writen Language) . (٢) وقد دونت كل اللغات السامية قديماً؛ فيما عُثر عليه مكتوباً على المعابد والقبور والأحجار . وعُرفت تلك الكتابة باسم النقوش ؛ وأكثر هذه النقوش نبطى وعربى وسبئي . (٣)

وقد استخدم البابليون والآشوريون الخط المسمارى ؛ الذى وضعه السومريون قبلهم ، ووجد هذا الخط فى النقش الفينيقى ؛ الذى يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد . (٤) أما نقش ملك مؤاب ؛ الذى يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، فهو أول ما وصل إلينا من اللغة الكنعانية . (٥)

أما العبرية فأقدم ما وصل إلينا هو قصيدة دبورة ، الموجودة فى العهد القديم (٦) ، وهى ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، وأقدم مصدر للخط العبرى هو نقش السلوان (٧) .

---

(١) انظر : فقه اللغة ١٤ والمفصل فى تاريخ العرب ١ / ٢٤٠ ، ٢٤١ . وتاريخ اللغات السامية ٥ ، ٦ .

(٢) انظر : Ronalled A . Hall ; Introductory linguistics; P.263, 264 , 266 -

(٣) انظر التطور النحوى ٩٠ وعلم اللغة العربية ١٣٤ .

(٤) انظر : فقه اللغات السامية ٣٥ .

(٥) انظر : المرجع نفسه ١٨ ، ٣٥ .

(٦) انظر : الكتاب المقدس –العهد القديم – سفر القضاة – الإصحاح الخامس ٣٨٦ .

(٧) انظر : فقه اللغات السامية ١٨ ، ٣٦ .

وأقدم نص وصل من اللغة الآرامية هو نقوش أمراء سمأل ، فى تل زنجيرلى (١) ، أما اللغة العربية فإن أقدم ما وصل إلينا منها هو نقش النمارة ، الذى يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد (٣٢٨ ق . م) . (٢)

وقد اختلف العلماء فى أصل الخط السامى القديم ، على أقوال منها :

– أرجعه دى روجيه De Rouge إلى أن الخط الهيروغليفى ، ولكن ليس هناك وجه شبه بينهما .

– أرجعه ديكه Deecke إلى الخط المسمارى السامى الشرقى ، المشتق من الآشورى الحديث ، ويرى كارل بروكلمان خطأ ذلك من الناحية التاريخية .

– أرجعه ديلتسن Delitzsch إلى المصادر الحيثية فى شمالى سورية وآسيا الصغرى ، الذى يرجع أيضاً إلى الخط الهيروغليفى . وقد رفض بروكلمان هذا الرأى أيضاً ؛ لقلة أوجه الشبه بين الخط الحيثى والسامى .

– أرجعه إيفانز Evans إلى الهيروغليفية ، ولكن ليس عنده دليل . (٣)

ومع ذلك فليس هناك دليل راجح على أصل هذا الخط السامى القديم . ويعد الخط الحبشى هو الوحيد بين الخطوط السامية الأخرى؛ الذى لا تكتب فيه الحركات القصيرة بل إن الفونيمات فيه مقطعية ؛ تحمل حركاتها فيها . (٤)

---

(١) انظر : المرجع السابق ٢٢

(٢) انظر : المرجع نفسه ٢٩

(٣) انظر : المرجع نفسه ٣٥ – ٣٧

(٤) ولذلك يحمل الفونيم الصامت الواحد سبع صور نطقية مختلفة ؛ حسب تركيبه مع صائت غيره . ومثال ذلك مثلاً الميم ؛ مع الفتحة القصيرة (መ) ، والضمة الممالة الطويلة (ሞ) والكسرة الصريحة الطويلة (ሚ) ، والضمة الصريحة الطويلة (ሙ) ، والكسرة الممالة القصيرة (ም) ، والكسرة الممالة الطويلة (ሜ) والفتحة الطويلة (ማ) . انظر : فى قواعد الساميات ٣٠٤ وتاريخ اللغات السامية ٢٦٣

كما أنه ليس هناك فونيمات خاصة بالحركات القصيرة فيها ؛ بل هى رموز فوق الفونيمات الصوامت ؛ أو تحتها .

وتعد اللغة العربية أحدث لغة دونها أهلها ، وأقدم نص مكتوب فيها هو القرآن الكريم . وعلى ذلك فإن أقدم خط سامى هو الخط المسمارى ، وأحدث خط هو الخط العربى المستخدم الآن فى اللغة العربية ؛ مع زيادة رموز الحركات القصيرة والطويلة ؛ كتابياً فقط لا نطقاً .

وقد اتخذت كل لغة خطاً مختلفاً عن غيرها (١) . ونمثل لذلك بفونيم الهمزة فيها . ففى العربية (أ) ، وفى العبرية (א) ، وفى السريانية (ܐ) ، وفى الحبشية (አ) ، إلا أن هناك بعض أوجه التشابه بينها .

---

(١) وقد فطن إلى ذلك أبو العباس القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) حين رأى أن الحروف (الفونيمات) المكتوبة تختلف باختلاف اللغات ، واختلاف المخارج . انظر : صبح الأعشى ٣ / ١٥

خصائص اللغات السامية

من خلال قراءة النقوش العربية القديمة ، والاطلاع على ما دُون من تلك اللغات السامية الأخرى ؛ كالسريانية والحبشية والعبرية ، من خلال العهد القديم (التوراة) ، والعهد الجديد (الإنجيل) ؛ استطاع العلماء أن يستنتجوا بعض أوجه الشبه بين تلك اللغات كلها ، وهى مجموعة خصائص تشترك فيها هذه اللغات ؛ على المستويات اللغوية الأربعة ؛ صوتاً ، وبنية ، وتركيباً ، ودلالة .

الخصائص الصوتية : PHONATIC ASPECTES

تتميز اللغات السامية ؛ من الناحية الصوتية بما يلى :

- كثرة الأصوات الصامتة Consonants مقارنة بالصوائت Vowels .
- وجود صوت الضاد ؛ وبالتحديد فى العربية والحبشية ؛ أما فى السريانية فقد تحول إلى عين (ܥ) (١) . وفى العبرية تحول إلى صوت مزدوج ينطق مثل صوتى التاء الساكنة مع الصاد (צ) (٢) ، وهو يشبه الصوت الألمانى (z) .
- وجود مجموعة من الأصوات الطبقية ؛ مثل (ك - خ - غ) .
- وجود مجموعة من الأصوات اللثوية الأسنانية ، مثل (ث - ذ - ظ) .
- وجود صوت لهوى وحيد ، هو القاف (ق) . (٣)

الخصائص الصرفية : MORFOLOGY ASPECTES

تتميز اللغات السامية ببعض الخصائص الصرفية ؛ على مستوى

---

(١) وذلك كما فى كلمة (ܐܪܥܐ) بمعنى (أرض) .

(٢) وذلك كما فى كلمة (ארץ) بمعنى (أرض) .

(٣) انظر فى تلك الخصائص : فقه اللغات السامية ١٤ ، ١٥ وتاريخ اللغات السامية ١٤ ونشأة اللغة ٩٣ - ٩٦ وعلم اللغة العربية ١٣٩ ، ١٤٢ وفصول فى فقه العربية ٤٥ - ٤٦ وفقه اللغة المقارن ١٩١ ودراسات فى فقه اللغة ٤٨ وفقه اللغة ٢٠ والمدخل إلى علم اللغة٢١٥ - ٢٢٨ .

الكلمة المفردة وطريقة بنائها كما يلى :

- لا تبدأ الكلمة فيها بصوت صامت ساكن (غير متحرك) ، أما فى اللغات الهندوأوربية فيجوز ذلك ، مثل Play (يلعب) ؛ حيث الباء (P) صوت صامت ساكن وإذا حدث وجاءت كلمة أولها صامت ساكن ؛ فإنه يجتلب لها همزة وصل وذلك كما فى الأفعال الخماسية والسداسية ومصادرها ؛ فى اللغة العربية . (١)

- لا تبدأ الكلمة فيها بصوت صائت (حركة) .

- معظم كلماتها ثلاثية الجذور Roots ، أى ثلاثية الأصل . (٢)

- تعبر عن تصريفات الحدث بالاشتقاق الداخلى Inside Itemology وليس عن طريق اللواصق Preffix واللواحق Saffixe . (٣)

ونمثل لذلك بالجذر (علم) ؛ حيث يشتق منه :

(يعلم - اعلم - عالِم - عليم - علماء - عَلَم - عَلِمَ - عِلْم - عالَم - عالمين ... إلخ) . ويعتمد هذا الاشتقاق الداخلى على الحركات (الصوائت) .

- يؤنث الاسم والصفة بإضافة تاء التأنيث غالباً . (٤)

- لا تستخدم النحت فى كلماتها ؛ إلا قليلاً جداً .

- توجد بها بعض الكلمات أحادية الجذور الثنائية ؛ مثل أسماء

---

(١) انظر : الكتاب ٣ ، ١١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٤ / ١٤٤ - ١٥٠، ٢٣٧ والمقتضب ١ / ٢١٨ - ٢٢٠ .

- Ronalled A. Hall ; Introductory Linguistics ; P . 325 .

(٢) انظر : - Maria Pel , Glossary of lingui stice P . 237 .

(٣) وهو موجود فى اللغات الهندوأوربية كالانجليزية .

(٤) لاحظ أن فى العربية علامتى تأنيث أخريين ؛ هما الألف الممدودة والمقصورة . انظر : الكتاب ٣/ ٢١٣ - ٢١٥ ، ٥٩٦ والتطور النحوى ١١٣ ، ١١٥ وهمع الهوامع ٢ / ١٦٩ - ١٧٣ والمدخل ٢٦١ - ٢٦٢ والمقتضب ١/١٤٨ - ١٥٠ .

الأقارب ، وأعضاء الجسم (أب - حم - أخ - يد - دم) . (١)

- توجد بها بعض الكلمات أحادية الجذور ، بصورة قليلة جداً ، مثل (فو - ذو) . (٢)

- ليس للفعل فيها إلا زمنان رئيسيان ؛ ماض وحالى (مضارع) (٣) .

الخصائص النحوية : Sgntatic Aspectes

تتميز اللغات السامية ، على المستوى التركيبى ببعض الخصائص ، ومنها :

- قصر الجمل ؛ حيث تتكون الجملة من ركنين أساسيين غالباً ، هما الفعل والفاعل فى الجملة الفعلية ، والمبتدأ أو الخبر فى الجملة الاسمية .

- ظاهرة توازى الجمل ، أى تشابه الجمل فى تركيبها .

- ربط الجمل بالعطف عن طريق الواو كثيراً ، مع وجود أدوات أخرى للعطف . (٤)

- وجود الجملة الفعلية كثيراً .

---

(١) عامل اللغويون العرب هذه الكلمات على أنها ثلاثية الجذر ، فزادوا (واواً) عليها ، لتصير : (أبو - حمو - أخو - يدو أو « يدى » - دمو) . انظر : كتابنا : الأسماء الستة .

(٢) عامل اللغويون العرب هاتين الكلمتين على أنهما ثلاثيتا الجذر ، فزادوا هاء فى (فو) لتصير (فوه) ، وواوا فى (ذو) لتصير (ذوو) . انظر كتابنا : الأسماء الستة .

(٣) فى تلك الخصائص انظر : فقه اللغات السامية ١٤ ، ١٥ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٥ وفقه اللغة المقارن ١٩١ وفصول فى فقه العربية ٤٥ ، ٤٦ وعلم اللغة العربية ١٤٢ - ١٤٦ ودراسات فى فقه اللغة ٤٨ ، ٤٩ وفقه اللغة ١٨ ، ٢١ ونشأة اللغة ١٠٠ ، ١٠١ وتاريخ اللغات السامية ١٤ ، ١٥ والتطور النحوى ٧٥ وما بعدها والمدخل إلى علم اللغة ٢٢٩ وما بعدها .

(٤) وهذه الأدوات مثل (الواو - أو - ثم - حتى - لا - لكن - بل) . انظر : الكتاب ١ / ٣٤٥ ، ٤٣٥ - ٤٤٠ وشرح المفصل ١٠٧:٨٨/٨ ومغنى اللبيب ٢١٣:٨٧ وهمع الهوامع ٢ / ١٢٨ - ١٣٨ .

- وجود الإعراب للتفريق بين المواقع الوظيفية المختلفة للكلمة داخل الجملة . (١)

الخصائص الدلالية : Semantic Aspectes

توجد فى اللغات السامية بعض المميزات الدلالية ؛ ومنها :

- التشابه فى بعض الألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان مثل : (عين - يد - أذن - فم) .
- التشابه فى بعض ألفاظ القرابة ؛ مثل : (أب - أم - عم - أخ - ابن - حم) .
- التشابه فى ألفاظ بعض الحيونات ؛ مثل : (أسد - ثور - كلب - حمار) .
- التشابه فى بعض ألفاظ أسماء الظواهر الطبيعية ؛ مثل : (شمس - نور - سماء - أرض - ماء) .
- التشابه فى ألفاظ الأعداد .
- التشابه فى ألفاظ الضمائر الشخصية .
- ندرة الألفاظ المركبة ، وشيوع الألفاظ المفردة .
- التشابه فى الألفاظ الدالة على ضروريات الحياة البدائية ؛ كالطعام والشراب والمأوى والملبس . (٣)

---

(١) فى تلك الخصائص انظر : تاريخ اللغات السامية ١٥ وعلم اللغة العربية ١٤٧ ، ١٤٨ وفصول فى فقه العربية ٤٥ ، ٤٦ وفقه اللغة ١٧ والتطور النحوى١١٦ ، ١٣٥ ؛ حيث يرى برجشتراسر أن الجملة الفعلية أقل استخداماً من الاسمية فى الساميات .

(٣) يرى جورجى زيدان أن هناك ألفاظاً مشتركة بين كل اللغات؛ على اختلاف أسرها وفضائلها ، وليس بين الساميات فحسب ، وهى (أب -أم- أكل -عطاء - قطع - أرض- ثرى -ماء- كهف)=

- استخدام المعانى المجازية ؛ عن طريق الاستعارة والكناية ؛ مما ينتج عنه التضاد (١) Antonymy والمشترك اللفظى (٢) Hyponymy والترادف (٣) Synonymy . (٤)

ويلاحظ أن كثيراً من اللغويين الذين تناولوا هذه الخصائص ؛ لم يصنفوها فى تقسيماتها اللغوية السابقة - سوى د . محمود فهمى حجازى فى كتابه علم اللغة العربية - بل أوردوها هكذا مجتمعة ؛ دون تقسيم .

وتلك الخصائص تعين على فهم كثير من الظواهر اللغوية ؛ فى أية لغة من هذه الأسرة ، بحيث تدرس الظاهرة الواحدة ؛ فى لغة ما ؛ فى ضوء المنهج المقارن Comparative method ، بالنظر إلى مثيلاتها فى اللغات المشتركة معها فى تلك الأسرة .

الباحثون فى الساميات :

اهتم بالبحث فى الدراسات اللغوية المقارنة ؛ وبخاصة فى مجال اللغات السامية ؛ علماء كثيرون كان أسبقهم المستشرقون ، ثم تلاهم العرب .

= وهذا رأى صائب فمثلاً الكلمة الدالة على الأب ؛ هى فى العربية (أب)، وفى الإنجليزية (Father) ، وفى الفرنسية (Pere) ، وفى الإندونيسية (Paba) . هناك وجه شبه بين هذه الكلمات إلا فى صوت المد (a) أو (e) ، وصوت (P) . ولا يعنى هذا أنها متشابهة فى النطق أو الاشتقاق Etomolguy . انظر : الفلسفة اللغوية ٤٢ ، وقد قال بذلك أيضاً : جسبرسن Jespersen انظر: O. Jespersen , loguage ; P . 154 - 157 -

(١) انظر كتابنا : الحقول الدلالية ٣٧ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ٤٤ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ٤٨ .

(٤) انظر فى تلك الخصائص : فقه اللغات السامية ٩٣ وفقه اللغة ٢١ وتاريخ اللغات السامية ١٥ وفصول فى فقه العربية ٤٥ ، ٤٦ وعلم اللغة العربية ١٤٨ - ١٥٠ وفقه اللغة المقارن ١٩٢ والفلسفة اللغوية ٤٢ و هامش المعلق صفحة ١٠٣ .

فمن العلماء الغربيين المستشرقين نجد :

١- إسرائيل ولفنسون	E . Welfenson
٢- آرنست رينان	A. Renan
٣- إدوارد ألندورن	E . Ullendorf
٤- أنطوان شبتيالر .	A. Spitallar
٥- أنطوان ماييه	A . Meillet
٦- بارت	Barth
٧- برجشتراسر .	Bergesterrasur
٨- تيودور نولدكه	Th . Noldeke
٩- دى لاكى أوليرى	De lacy o'leary
١٠- زيميرن	Zimmern
١١- فولفرام فون سودن	W . Von Soden
١٢- كارل بروكلمان	C . Brokelemann
١٣- لاجارد	Lagarde
١٤- موسكاتى	S . Moscati
١٥- وليم رايت	W . Wright

ومن الباحثين العرب نجد :

١- د . إبراهيم السامرائى .
٢- بحر عبد المجيد .
٣- د . حسن ظاظا .
٤- خليل نامى .
٥- د . ربحى كمال .
٦- د . رمضان عبد التواب .
٧- د . عبد المجيد عابدين .
٨- د . على عبد الواحد وافى .

٩- د . عونى عبد الرؤف .
١٠- د . محمود فهمى حجازى .
١١- د . مراد كامل .
١٢- مرمرجى الدومينيكى .

ويعد بروكلمان ونولدكه وبرجشتراسر وولفنسون أكثر المستشرقين بحثاً فى الساميات ،أما ولفنسون فقد كتب فى تاريخ هذه اللغات أكثر من أوجه مقارنتها .

أماالعلماء العرب فأبرزهم د . حسن ظاظا ، ومنهجه تاريخى أكثر منه لغوى ، و د . محمود فهمى ود.رمضان عبد التواب ،ومنهجهما لغوى مقارن .



الفصل الثاني

الإزدواجية اللغوية بين العربية واللغات السامية

ليس هناك لغة تحيا بمفردها بين أهلها فحسب . بل لابد من التفاعل بين اللغات ، فتأخذ تلك اللغة من لغة أخرى وتعطيها بعض الألفاظ أو التأثيرات الصوتية ؛ كالنبر Stress (١) والتنغيم Intonation (٢) ، وهما لا يظهران إلا فى الغة المنطوقة .

وهو ما يسمى الازدواجية اللغوية Bilingualism . وتعنى تكلم مجتمع ما لغتين ؛ إحداهما أصلية والأخرى أجنبية ، أو لغة فصحى ولهجة منها ، أو لهجتين من لغة واحدة ، أو لغتين من أسرة واحدة . كما قد يتكلم كل المجتمع لغتين أو لهجتين أولغة ولهجة ، أو بعض أفراده . (٣)

والذى نحن بصدده الآن هو معرفة بعض العرب - فى المجتمع العربى - لغة أخرى غير اللغة العربية ، وهو ما يعرف بالازدواجية الفردية Individual Bilingualism . (٤) ، وسنحاول فى تلك الصفحات بيان التفاعل اللغوى بين اللغة العربية وأخواتها الساميات ؛ فى الجاهلية والإسلام .

---

(١) النبر هو الضغط علي مقطع لغوى فى كلمة ما بقصد إظهاره . انظر فى تعريفه : التطور النحوى ٧٠ - ٧٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) التنغيم هو رفع الصوت أو خفضه فى الكلام للدلالة على معنى ما . انظر التطور النحوى ٧٠ - ٧٣ والمدخل إلى علم اللغة١٠٦ وانظر :

- M . Halliday ;The linguistic science;P.71
- H . A . G leason ; An Introduction ' P . 40

(٣) انظر :
- P . Trudill ; Sociolingeisties ' P . 81 .
- H . Beardsmore , Bilingualism , Basic Principles ' PP.4-5 .

(٤) انظر : المرجعين أنفسهما .

أولاً في الجاهلية :

رغم أن العرب ـ قبل الإسلام ـ كانوا أميين ، لا يقرءون ولا يكتبون إلا قليلاً منهم ، كما أنهم كانوا قبائل متفرقة فى الصحراء لا يجمع بينهم إلا الحج ، والمواسم الثقافية ؛ فى أسواق عكاظ وذى المجنة ومجاز ، ورحلتا التجارة .

رغم ذلك كله وجدنا بعضهم يعرف شيئاً عن اللغات غير العربية ؛ كالفارسية ، والعبرية . ويهمنا فى هذا المجال معرفة بعض العرب اللغات السامية .

فقد كان ورقة بن نوفل (١) - ابن عم السيدة خديجة رضى الله عنها - يعرف اللغة العبرية ، يؤيد الإمام البخارى (ت ٢٢٥ هـ) ذلك ، حيث أورد فى صحيحه أنه كان هناك بعض النساك فى الجاهلية ؛ الذين عرفوا لغات غير العربية ؛ مثل « ورقة بن نوفل ، الذى كان امرءا قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً » . (٢)

وكذلك كان أمية بن أبى الصلت . (٣) يعرف العبرية أو السريانية .(٤)، وذلك من خلال اطلاعه على كتب اليهودوالنصارى وقراءتها .

ولا يقف الأمر هنا عند معرفة هذين الرجلين للغة العبرية ؛ بـــل

---

(١) هو ورقة بن نوفل بن أسد ، ابن عم السيدة خديجة رضى الله عنها ، رغب عن عبادة الأوثان فى الجاهلية وأدرك البعثة ، وبشر السيدة خديجة بأن جبريل هو الذى أتى الرسول الكريم ؛ حين عرضت عليه بداية الوحى .

(٢) صحيح البخارى (كتاب التفسير) ٦ / ٨٨ وكتاب التعبير ٨ / ٦٧ .

(٣) هو الشاعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ، قرأ الكتب وعلم أن نبياً سيبعث ، فكتب شعراً دينياً فى وصف الجنة والنار والبعث والحساب ، وهو أول من كتب باسمك اللهم انظر : مروج الذهب ١ / ٧٠ ، ٧١ .

(٤) انظر : المفصل فى تاريخ العرب ١ / ٤١٣ .

يتعدى أكثر من ذلك ؛ حيث ترجم الإنجيل إلى العربية . وأقدم ترجمة له فى الجاهلية كانت فى بطريركية أنطاكية ، ثم نقلت إلى بطريركية القدس وأورشليم ، قبل حرب الامبراطور هير قليوس ضد الفرس . (١)

بل يذهب كارل بروكلمان إلى أبعد من ذلك حين يظن أنه ربما وجدت ترجمة أخرى للإنجيل فى الجاهلية ؛ نقلت عن الآرامية الفلسطينية المسيحية . (٢)

ونحن الآن أمام معرفة احتمالية من جانب شاعر وناسك من العرب باللغة العبرية ، ومعرفة ظنية من جانب مجهولين باللغة الآرامية . وهذه الأخيرة هى التى ترجم من خلالها كتاب المسيحيين (العهد الجديد) أو الإنجيل (٣) إلى اللغة العربية . ولا ندرى هل قام بتلك الترجمة علماء من العرب أو نُساك ؛ ضن التاريخ والمصادر بذكرهم ؟ أم علماء أو نُساك آراميون أو عبريون ؛ ضمن التاريخ كذلك بذكرهم ؟!

وإذا كانت تلك الترجمة الأولى قد تمت فى مدينة أنطاكية فى بلاد الشام ، فهى تدل على معرفة أهل الكتاب غير العرب باللغة العربية ، إذ لم تكن قد عُربت تلك البلاد آنذاك أو دخلها العرب (٤) . وهو ما يعنى

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٤ / ٩٠

(٢) انظر : المرجع السابق ٤ / ٩٠ .

(٣) هناك ثلاثة أسماء متشابهة فى ذلك الموضوع هى (الكتاب المقدس ، الإنجيل ، العهد الجديد) فأما الأول فهو يشمل العهد الجديد والعهد القديم الذى يشمل التوراة والأنبياء وأسفار الحكمة ، وأما الثانى فهو خاص بما أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام ، وأما الثالث فهو ما كتبه مرقص ولوقا ومتى ويوحنا ، وأعمال الرسل . انظر : الفكر الدينى اليهودى ١٢ .

(٤) دخل العرب المسلمون بلاد الشام فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ١٠ هـ ، وتتابع فتحهم لها بعد ذلك فى عهد الصديق وعمر ؛ رضى الله عنهما . ولكن يوهان فك يرى أن سورية قد استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام ، عن طريق القبائل العربية التى هاجرت إليها . انظر : العربية ١٩ .

وجود علاقة بين اللغة العربية وغيرها من أخواتها الساميات ، وهو ما نسعى إلى إثباته . كما أن الترجمة الأخرى التى نقلت عن اللغة الآرامية تثبت وجود علاقة ما بين اللغة العربية والآرامية .

ولعل سبب تفاعل اللغة العربية مع غيرها من الساميات فى تلك المنطقة بالتحديد ، هو رحلة الصيف التى كان العرب الجاهليون يقومون بها كل عام للتجارة -من مكة وشبه الجزيرة العربية كلها - إلى الشام ، والتى أشار إليها القرآن الكريم . (١)

أما معرفة ورقة بن نوفل للغة العبرية ؛ وكتابته بعضاً مما يشاء كتابته من الإنجيل بالعربية ؛ فهى معرفة تعنى إلمامه باللغة العبرية . ذلك لأنه كان يكتب بالعربية ما هو مكتوب بالعبرية وهو ما يعنى فهمه التركيب النحوى للعبرية ، والبناء الصرفى للكلمات ، ودلالة الألفاظ ؛ ناهيك عن فهمه نطق الفونيم المكتوب باللغة التى يقرأها .

ولا نستطيع أن نجزم فى طريقة تعلمه إياها ، وربما كان ذلك عن طريق الاختلاف إلى الرهبان والأحبار الذين كانوا منتشرين فى شبه الجزيرة قبيل البعثة ، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . حيث انتشرت اليهودية فى جزيرة العرب قبل الإسلام بقرون ، وتكونت فيها مستعمرات يهودية ، وأشهرها يثرب . (٢)

بل إن اليهود قد نشروا فى جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها ؛ من تاريخ خلق الدنيا ، ومن بعث وحساب وميزان ، ونشروا

---

(١) وذلك فى سورة قريش فى قوله تعالى : (إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف) . انظر : تفسير الطبرى ٣٠ / ١٩٩ ومروج الذهب ٢ / ٢٠ والبحر المحيط ٨ / ٥١٤ والقرطبى ٢٠ / ٢٠٥ وتاريخ الإسلام ١ / ٦٢ ، ٦٣ وفجر الإسلام ١٢ - ١٦ . ويرى ابن عباس فى أحد قوليه أن رحلة الشتاء إلى مكة ، ورحلة الصيف إلى الطائف . انظر : تفسير القرطبى ٢٠/ ٢٠١ والبحرالمحيط ٨ / ٥١٥

(٢) فجر الإسلام ٢٣ . وانظر : تاريخ الأدب العربى ١/ ١٢١ والمفصل فى تاريخ العرب ١/ ٤١٥، ٤١٦

تفاسير المفسرين للتوراة ، وما أحاط بها من أساطير وخرافات . (١)

وقد كان هناك نُساك من العرب أيضاً رفضوا عبادة الأوثان واتجهوا إلى النصرانية مثل زيد بن عمر بن نفيل (٢) . وربما قرأ الإنجيل بالعبرية أو مترجماً بالعربية ؛ إذ إنه كان قد ترجم آنذاك .

ولا تسعفنا المراجع والمصادر بشئ ما ، عن تفاعل اللغة العربية باللغة الحبشية ؛ رغم رحلة التجارة الشتوية إلى اليمن التى هى قريبة من الحبشة .

---

(١) فجر الإسلام ٢٤ ، ٢٥

(٢) هو زيد عمرو بن نفيل العدوى ، كان على دين إبراهيم عليه السلام ، وهو والد سعيد بن زيد الصحابى أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب ، مات قبل البعثة بخمس سنين انظر : الإصابة ١/ ٥٦٩ - ٥٧٠ والمعارف ٥٩ ومروج الذهب ١/ ٧٠

ثانياً : فى صدر الإسلام

حين نزل القرآن الكريم ؛ فى مكة المكرمة ، وبدأ الإسلام رحلته لم يكن بمكة من أهل الكتاب أحد ، بل كان مجتمعاً إما كافراً وإما مسلماً فقط ، وليس بينهما جنس ثالث ؛ كالمنافق أو الذمى (١) .

ولذلك كانت اللغة العربية شبه صافية ؛ فى مكة المكرمة ؛ عبارة عن لهجة قريش السائدة آنذاك ، واللغة المشتركة الفصحى ؛ التى هى شتات متجمع من لهجات شبه الجزيرة العربية كلها أو معظمها (٢) ولم ترد لنا الأخبار عن معرفة أحد من الصحابة ؛ فى مرحلة ما قبل الهجرة ؛ لغة من اللغات السامية .

أما فى المدينة المنورة ، فقد عرف بعض الصحابة اللغات السامية أو واحدة منها ، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً ، من خلال اتجاهات ثلاثة هى :

اختلاف جنس الصحابة :

لم يكن مجتمع الصحابة مجتمعاً من أصل عربى فقط ، بل كان فيهم غير العرب ؛ مثل سلمان الفارسى (٣) ، وصهيب الرومى (٤) ،

---

(١) ذلك لأن اليهود توزعوا فى شبه الجزيرة العربية وتفرقوا فيها وابتعدوا عن مكة . انظر : فجر الإسلام ٢٤

(٢) انظر : فصول فى فقه العربية ٨٤ - ٨٦ والمدخل إلى علم اللغة ١٦٦ - ١٦٨

(٣) هو أبو عبد الله سلمان الفارسى ، صحابى جليل ، أصله من بلاد فارس ، سمع بالنبى الكريم فجاء المدينة وبيع عبداً ، ثم أسلم ، وشهد المشاهد بدءا بالخندق ، وهو الذى أشار بحفره ، (ت ٣٣ هـ) . انظر : الإصابة ٢ / ٦٢ ، ٦٣ والاستيعاب ٢ / ٥٦ - ٦١

(٤) هو صهيب بن سنان الرومى صحابى جليل ، أسلم فى مكة ، وشهد المشاهد كلها ، وكانت فى لسانه لكنة رومية ، وهو من أول سبعة أسلموا بمكة (ت ٣٨ هـ) .

انظر : الإصابة ٢ / ١٩٥ - ١٩٦ والاستيعاب ٢ / ١٧٤ - ١٨٢ .

وبلال الحبشى . (١)

ولذلك كان كل منهم يحمل لغته الأصلية Native Language ، وهذا أمر طبعى فى أى شخص ، يتحول من بلده الذى يتكلم لغته الأصلية ، إلى بلد آخر لا يستخدم تلك اللغة وعندئذ تظل اللغة الأولى لغة أماً Mother Language ، ولا تُمحى من الذاكرة أبداً رغم وجود لغة ثانية Second Language . (٢)

وإذا كانت لغة سلمان هى الفارسية ، ولغة صهيب هى الرومانية تبعاً لموطنهما الأصلى ؛ فإن ما يهمنا هنا هو لغة بلال الحبشى ؛ حيث كانت اللغة الحبشية (٣) ، وهى من اللغات السامية . ولكن المراجع تسكت عن لغة بلال الأصلية ، وهل كان يستخدمها أحياناً ؟ أم حاول نسيانها مع ما كان عليه من دين قبل الإسلام ؟

ورغم ذلك فنحن نرجح أنه كان يتكلمها أحياناً ؛ ولكن غلبة حبه للإسلام ولغته العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، حال دون ممارسة استخدام اللغة الحبشية . ولعله كان يجد من يتكلم معه بها مثل أبى هريرة ؛ الذى روى عنه أنه كان يعرف اللغة الحبشية ، يقول الإمام البخارى فى ذلك : « عن أبى هريرة يقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يوردن ممرض على مصحّ ، وأنكر أبو هريرة حديثه الأول (٤) ،

---

(١) هو بلال بن رباح الحبشى الصحابى الجليل ، ومؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه أبو بكر الصديق من أمية بن خلف و أعتقه . شهد المشاهد كلها ، ومات بالشام عام ٢٠ هـ . انظر الإصابة ١/١٦٩ والاستيعاب ١/١٤٥ - ١٥٠ وأسد الغابة ١ / ٢٠٦ - ٢٠٩

(٢) انظر : D . A . Wilkins ; Linguistics in language teaching ; P . 151 .

(٣) انظر : العربية ٢٣

(٤) وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى) انظر : صحيح البخارى (كتاب الطب) ٧/١٧/٢٧/٣١/٣٢ ونص الحديث هو « عن أبى هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » .

قلنا : ألم تحدث أنه لا عدوى فرطن بالحبشية ... » (١) .

فجملة (فرطن بالحبشية) تعنى أنه تكلم باللغة الحبشية كلاماً لم يفهمه من سمعه من الصحابة ، ولو عرفوا معنى ما قال لأوردوه فى هذا الحديث . وإذا كان أبو هريرة عربياً (٢) يتكلم اللغة الحبشية ، فمن المرجح أنه تعلمها من بلال الحبشى ؛ ولو أنه أسلم قبل هجرة الحبشة لقلنا إنه تعلمها من أهلها هناك ، ولكنه أسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولم يهاجر إلى الحبشة ؛ لأنه ما كان مسلماً آنذاك .

ويلاحظ أن اللغة الحبشية كانت معروفة لدى بعض القرشيين ؛ بدليل أن الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، كانت جدته حبشية (٣)، كما أن الشاعر سحيم عبد بنى الحسحاس (٤) كان يرطن بلكنة أجنبية ، فكان يقول :

(أحسنك) بدلاً من (أحسنت) (٥) ،والكاف هذه هى ضمير المتكلم

---

(١) صحيح البخارى (كتاب الطب) ٧ / ٣١ .

(٢) هو عمير بن عمر بن عامر الدوسى ، من قبيلة دوس ، صحابى جليل ، روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم سنة ٧ هـ ، ومات سنة ٥٧ هـ . انظر الإصابة ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٨ والاستيعاب ٤/٢٠٠ - ٢٠٧ .

(٣) انظر : الأغانى ١٥ / ٢ وعنه فى العربية ٣٥

(٤) هو الشاعر سحيم عبد بنى الحسحاس ، صحابى جليل ، كان عبداً حبشياً ، اشتراه عبد الله بن أبى ربيعة ، أدرك رسول الله وآمن به ، وقتل فى خلافة عثمان بن عفان . انظر : الشعر والشعراء ٩١ ، ٩٢ والإصابة ٢/١٠٩ - ١١٠ ، وطبقات فحول الشعراء ١/١٨٧ ، وتاريخ الأدب العربى ١٧١

(٥) انظر : الأغانى ١٥ / ٢ ، وفى خزانة الأدب ٢/١٠٢ - ١٠٦ أنه قال (ما سعرت ، يريد : ما شعرت) وكذا فى الكامل ١ / ٣٧٢ ونصوص من اللغات السامية ١٥٥

فى الحبشية . (١)

ولكن يوهان فل يرى أن التفاصيل التى وردت عن تلك اللكنة ليست جديرة بالثقة . (٢)

اختلاط مجتمع الصحابة بغيره من أهل الكتاب :

اختلط المسلمون الأوائل فى المدينة المنورة بغيرهم من أهل الكتاب ، وبخاصة اليهود . حيث كان فى المدينة ثلاث قبائل من اليهود هم بنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو النضير (٣) . وذلك عكس مكة المكرمة ؛ التى خلت منهم - كما بيّنا آنفاً . (٤)

وكان هؤلاء اليهود متمسكين بلغتهم العبرية ، بوصفها لغة كتابهم المقدس ، وهو ما عبر عنه يوهان فك بأنهم كانوا ينطقون لهجة تختلف كثيراً عن لغة السكان الآخرين بالمدينة ، بحيث لم تكن مفهومة لهم . (٥)

وكثيراً ما كان يحدث بين المسلمين الأوائل (الصحابة) واليهود، مجادلات كثيرة بشأن العقيدة أو المعاملات أو الحدود . فكان اليهود يستشهدون ببعض مما فى كتابهم الذى يقدسونه ، فيقرؤن منه باللغة العبرية ، ثم يترجمون ذلك إلى اللغة العربية ؛ ليفهمه المسلمون . وفى ذلك يقول البخارى :

---

(١) الكاف فى اللغة الحبشية (ከ) تأتى ضمير رفع متصل بالفعل الماضى وتقابل التاء فى العربية.
انظر التطور النحوى ٧٧ والمدخل إلى علم اللغة ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ونصوص من اللغات السامية ١٥٣ وفقه اللغات السامية ٨٧ ، ١٢٤

(٢) انظر : العربية ٢٣

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ٣/١٠٨، ١٤٠ والطبقات الكبرى ١/٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨ ، وفجر الإسلام ٢٤

(٤) راجع ص٢٩ من هذا الكتاب .

(٥) انظر : العربية ١١٠

« عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . » (١)

وقد تعلم بعض الصحابة اللغة العبرية ؛ ربما بالممارسة ومخالطة أهل الكتاب - فيما ذكرنا من شئون - ومنهم :

- عبد الله بن عتيق (٢) الذى كان يرطن باليهودية ، أى يعرف العبرية . (٣)

- عبيد الله بن جحش (٤) الذى كان يقرأ الإنجيل والتوراة . (٥)

ولا ندرى كيف يقرأ عبيد الله وعثمان الإنجيل والتوراة ، هل قرأ كلاهما كل كتاب منهما فى لغته الأصلية ؟ الإنجيل بالسريانية ، والتوراة بالعبرية ؟ أم قرأ كليهما بالعبرية فقط ؟ أم قرأهما مترجمين باللغة العربية ؛ من خلال ترجمتى الإنجيل (٦) . ولكنا نظن

---

(١) صحيح البخارى (كتاب التفسير) ٥ / ١٥٠ ، وكتاب الاعتصام ١٦٠/٨ وكتاب التوحيد ٢١٣/٨ والجزء الأخير من الحديث هو آية قرآنية ، ونصها هو : « وقولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أُوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . سورة البقرة ٢ / ١٣٦ .

(٢) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق ، صحابى جليل ، شقيق أسماء ، كان يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباه فى الهجرة بأخبار مكة ، وتزوج عاتكة بنت زيد ، (ت ١١ هـ) . انظر : الإصابة ٢٨٣/٢ ، ٢٨٤ ، ٣٤١ ، والاستيعاب ٢ /٢٥٨ .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى ٢/ ٩١ وعنه فى العربية ١١٠

(٤) هو عبيد الله بن جحش ، كان زوج أم حبيبة بنت أبى سفيان ، أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ولكنه تنصر هناك ومات على النصرانية . وهو مشكوك فى صحبته فلا يعتبر صحابياً بل مرتداً .

انظر الإصابة ٨/١ ومروج الذهب ٧٤/١ ، ٧٥

(٥) انظر : مراكز الترجمة القديمة ٥٤٣

(٦) راجع ص٦٦ من هذا الكتاب .

أن عبيد الله بن جحش كان يعرف الحبشية ؛ لأنه هاجر إلى الحبشة وظل بها وتفاعل مع أهلها ؛ لدرجة أنه ترك دينه وتنصر ومات على ذلك . وهو ما يوحى بأنه قد تعلم لغتهم كى يقرأ كتبهم .

الرسائل المتبادلة لنشر الإسلام :

كانت هناك - فى المرحلة المدنية فى الإسلام - رسائل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليه ؛ لنشر الإسلام ودعوة غير المسلمين للإسلام . وكان معظم هؤلاء المدعوين من غير العرب ؛ كالفرس والروم والقبط من أهل الكتاب . ولذلك كان لابد من الكتابة لهم بلغتهم ، وكذا استقبال رسائلهم ومعرفة ما فيها ، وهى مكتوبة بلغتهم أيضاً .

ولما كان الرسول الكريم لا يقرأ ولا يكتب (١) ، فقد أمر أحد الصحابة أن يتعلم اللغة العبرية ؛ ليقوم بالكتابة إليهم وترجمة ما يكتبونه هم ، أى الكتابة والترجمة إليهم والقراءة والترجمة عنهم . وهذا الصحابى هو زيد بن ثابت (٢)، حيث يروى عنه البخارى فيقول :

« عن زيد بن ثابت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود ؛ حتى كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه » (٣) ، وفى رواية أخرى أن رسول الله « أمره أن يتعلم اللغة السريانية ، فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً » . (٤)

---

(١) وهو ما يدل عليه قوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » . سورة العنكبوت ٤٨/٢٩ .

(٢) هو زيد بن ثابت بن الضحاك صحابى جليل خزرجى من الأنصار ، من كتاب الوحى وأحد جامعى القرآن فى عهد الصديق ، (ت ٤٥ هـ) . انظر الإصابة ٥٦١/١-٥٦٢ والاستيعاب ٥٥١/١ -٥٥٤ .

(٣) صحيح البخارى (كتاب الأحكام) ٨ / ١٢٠ وفتح البارى ١٣ / ١٨٦ .

(٤) انظر : فتح البارى ١٣ / ١٨٦ ، وصبح الأعشى ٣ / ١١ .

ولنا أن نشك فى مدة (سبعة عشر يوماً) ؛ حيث لا يمكن أن يحيط الفرد بلغة كاملة ؛ صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة فى شهرين ؛ ناهيك عن هذه المدة حيث يحتاج تعلم لغة أجنبية Forign language إلى مدة طويلة قد تصل إلى شهور ؛ ويصاحبها أخطاء كثيرة (١) ، ولعله قد تعلم قليلاً مما يفى له بغرض الكتابة فى مجال الدعوة إلى الإسلام ؛ وبخاصة الألفاظ الدالة على تلك المعانى الإسلامية ؛ دون غيرها من الألفاظ .

كما لا ندرى هل تعلمها عن طريق معلم ، أو بالطريقة الاتصالية Communicativ Method ، التى تعنى الاتصال بأصحاب اللغة والاختلاط بهم فى بيئتهم اللغوية ؛ فى السوق والشارع والاجتماعات وسماع لغتهم وتقليدها حتى إتقانها (٢) ، وربما تكون هذه هى الطريقة التى تعلم بها ، ذلك لأنه لو كان قد تعلمها عن طريق معلم لأخبرنا هو أو لأخبرت كتب الطبقات عنه .

كما لا ندرى هل تعلمها فى صورتها الفصحى ، أم فى صورة لهجة من لهجاتها ، ولكن المرجح أنه تعلمها فى صورتها الفصحى ؛ لأنه تعلم لأجل الكتابة والقراءة فقط وليس لأجل التعامل اليومى مع أصحابها ، ومعروف أن لغة القراءة والكتابة هى الفصحى ، إذ لو تعلمها فى صورة لهجة لكان من الصعب النقل منها أو إليها ، لوجود ازدواجية لغوية Bilingualism فى اللغة الثانية (٣) ، حيث تطغى اللهجات الاجتماعية للغة الثانية على متعلمها من غير أهلها (٤)

---

(١) انظر : - Ronalled A. Introductory Linguist ics ; P . 449 .

(٢) انظر : - C . Brumfit ; Communicative Methodology ; P . 4 .

(٣) انظر : - M . H . Halliday ' The liguistics science ' P . 78 .

(٤) انظر : - H . D . Brown ; Learning a secound culture ' P . 39 .

ومع ذلك لم تحفظ كتب السيرة النصوص العبرية ، والتى كانت تكتب بها تلك الرسائل ؛ وربما كان السبب فى ذلك هو عدم معرفة كُتَّاب السيرة والتواريخ للغة العبرية . ولذلك سجلوا هذه الرسائل باللغة العربية فقط . (١) ولو أنهم سجلوها باللغة العبرية لكان ذلك مادة جيدة للدراسة المقارنة ودراسة عملية الترجمة Translation من لغة إلى أخرى – فى تلك العصور .

مما سبق يتبين لنا أن المجتمع العربى – قبل الإسلام وعند ظهوره - كانت فيه ازدواجية فردية كالتالى :

– بين العربية والعبرية .

– بين العربية والحبشية .

فأما العبرية فقد كانت لغة الأحبار والرهبان الذين كانوا منتشرين فى شبه الجزيرة العربية ؛ لسبب دينى وهو محاولة التنبوء ببعثة الرسول الكريم وظهور الإسلام . إذ إن هؤلاء الرهبان والأحبار كانوا يهوداً ، واستمرت هذه اللغة تتفاعل مع العربية ؛ وبخاصة فى العهد المدنى – كما وضحنا سابقاً . واستمر التابعون يعرفون العبرية، بعد ذلك حيث ترجموا أسماء الأنبياء السابقين . (٢)

وأما الحبشية فقد كانت لغة الأحباش ؛ الذين اختلط بهم العرب قبل الإسلام فى رحلاتهم التجارية إلى اليمن . وبعد الإسلام اختلطوا بهم فى هجرة الصحابة إلى الحبشة ، (٣) وإسلام بعضهم كبلال .

ورغم أن هجرتى الحبشة قد اختلط فيهما المسلمون بأهل اللغة

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ٤ / ١٨٧ – ١٨٨ والطبقات الكبرى ١ / ٢٥٨ – ٢٩١ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ١ / ٥٧ ، ويلاحظ أن أسماء الأنبياء كلهم غير عربية إلا أربعة : آدم ، صالح ، شعيب ، محمد .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٠ – ٢٩٣ .

الحبشية ، إلا أنهما لم تثمرا كثيراً فى مجال التفاعل اللغوى بين العربية والحبشية . وذلك لاهتمام المهاجرين إليها بفهم الدين الجديد، وتقوقع أهل الحبشة على أنفسهم ولغتهم ودينهم . (١) وكذلك حالة المهاجرين النفسية السيئة التى كانوا عليها ؛ نظراً لتعقب قريش إياهم ، وقلقهم على إخوانهم فى مكة لما يلاقونه من تعذيب .

(١) ولذلك لم يسلم أحد منهم ويعود مع الصحابة إلى مكة أو المدينة بل إن ملكهم النجاشى تحفظ فى إسلامه .

الفصل الثالث

العلماء العرب القدامى واللغات السامية

الناظر فى كتب التراث العربى على اختلافها ؛ لغوية وتفسيرية وفقهية ؛ لا يعدم إشارات من علمائنا القدامى ، تدل على معرفتهم لغة سامية أو أكثر . وهى معرفة لا ترقى لدرجة العلم عند بعضهم ، على حين تتسم بصفات العلم عند بعضهم الآخر .

وفى الصفحات التالية ؛ سنحاول الاستقراء فيما وصل إلينا من تلك الكتب ؛ عند المفسرين وعلماء الأصول واللغويين . ثم نرصد بعض النصوص منها ونحللها لنرى : هل عرفوا اللغات السامية وصلتها باللغة العربية أم عرفوها فقط ؟ وهل استفادوا من معرفتهم هذه فى بحوث أخرى أم صارت معرفة نظرية فقط ؟

ولابد أن نعرف أن هدف هؤلاء جميعاً كان دينياً ؛ لفهم كلمة من القرآن الكريم استشكل عليهم فهمها ، وبيان أصلها الاشتقاقى ومن ثم بيان دلالتها . وجهودهم قليلة جداً نتناولها فيما يلى :

أولاً : المفسرون

تكلم معظم المفسرين عن ألفاظ القرآن الكريم ؛ دلالة واشتقاقاً . فهم يحللون اللفظ فيردونه إلى فعله إن كان اسماً ، وإلى اسمه (مصدره) إن كان فعلاً ، ثم يتعرضون للدلالة اللغوية الحقيقية أو المجازية أو السياقية .

وربما يقابلهم لفظ لا يعرفون أصل اشتقاقه فى اللغة العربية ، أو تخفى عليهم دلالته فيها ، فيتأولون ويحاولون أن يردوه إلى لغته التى يظنون أنه وارد منها . ومن ذلك كلمات كثيرة منها :

(إبراهيم - إسماعيل - جبريل - ميكائيل - إسحق - الطور - حصب - أواه - ناشئة - يحور - كفلين) .

حيث تأولوا هذه الكلمات ، وأجمعوا أن بعضها سريانى و بعضها عبرى وبعضها حبشى ، ولهم كلام كثير فى ذلك ليس هذا موضعه . حيث صرح بعضهم بوجود كلمات غير عربية فى القرآن الكريم ، على حين نفى غيرهم وجود هذه الكلمات غير العربية . (١)

ومع ذلك فلم يعرف اللغات السامية أو إحداها ، من هؤلاء المفسرين إلا اثنان ، هما :

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٣٢ هـ) .

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ١/٦٨ ، ٦٩ والإتقان فى علوم القرآن ١/١٣٥ - ١٤١ والبحر المحيط ١/٣١٧ ، ٣٣٩ ، ٤/١٦٣ وتأويل مشكل القرآن ٢١ . وقد شارك علماء الأصول فى ذلك أيضاً ، انظر : الرسالة ٤١ - ٤٦ والإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ١/٥٣ ، ٦٩ - ٧١ . وانظر أيضاً : البرهان فى علوم القرآن ١/٢٨٧ - ٢٩٠ وصحيح البخارى (كتاب التفسير) ٥/٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٠ ، ٦/٤٩ وكتاب التهجد ٢ / ٤٦ وكتاب الأدب ٧ / ٨٠ ، كما شارك اللغويون فى ذلك ، انظر : الصاحبى ٤٢ - ٤٣ وحاشية ابن برى ١٩ ، ٢٠ .

- أبو حيان على بن محمد الأندلسى (ت ٧٥٤ هـ) .

أ- ابن قتيبة :

عرف ابن قتيبة اللغة العبرية ، يدل على ذلك ما أورده فى تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » . (١)

حيث قال : « راعنا ، من رعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله. يقال : أرعنى سمعك . وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : راعنا وأرعنا سمعك ، وكان اليهود يقولون : راعنا ، وهى بلغتهم سب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، وينوون بها السب ، فأمر الله المؤمنين أن لا يقولوها ؛ لئلا يقولها اليهود وأن يجعلوا مكانها : أنظرنا ، أى انتظرنا » . (٢)

فهو هنا يفطن للغة العبرية ، وأن فيها كلمة (راعنا) التى تحمل دلالة السب والشتم ، ولكنه لم يتوغل فى معرفتها أكثر من ذلك ، بل اكتفى برد الكلمة إلى لغتها العبرية فقط .

وهو يصرح فى موضع آخر أنه قرأ التوراة فيقول :

« وقرأت فى التوراة ، بعد ذكر أنساب ولد نوح صلى الله عليه ، أنهم تفرقوا فى كل أرض ، وكانت الأرض لساناً واحداً ... » . (٣)

ويدلل أكثر على قراءته التوراة ، فى تفسير قوله تعالى :

« فضحكت فبشرناها بإسحق » . (٤)

فيقول : « قال عكرمة : حاضت ، من قولهم : ضحكت الأرنب إذا

---

(١) سورة البقرة ٢ / ١٠٤ ، وانظر قوله تعالى فى سورة النساء ٤/٤٦ « ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا فى الدين » .

(٢) تفسير غريب القرآن ٦٠ وانظر ١٢٨ وتأويل مشكل القرآن ٣٧٥

(٣) تأويل مشكل القرآن ٨١ وانظر ١٠٣ ، ١٠٤

(٤) سورة هود ١١ / ٧١

حاضت . وغيره من المفسرين يجعله الضحك بعينه ، وكذلك هو فى التوراة . وقرأت فيها : أنها حين بشرت بالغلام ضحكت فى نفسها » (١)

فى هذين النصين السابقين يقرر ابن قتيبة أنه قرأ فى التوراة ، كما يقرر فى النص الذى سبقهما أنه يعرف العبرية . ورغم ذلك فنحن لا نسلم بأنه عرف العبرية معرفة دقيقة ؛ بل نرجح أن تكون تلك المعرفة عن طريق الترجمة فقط ، دون قراءتها أو كتابتها ، أو معرفة قواعدها فى الصوت أو البنية أو التركيب . وذلك اعتماداً على ثلاثة أدلة :

الأول :

أنه صرح بأن التوارة قد ترجمت إلى اللغة العربية ، ولابد أن يكون قد اطلع على تلك الترجمة . وذلك حين قال :

« لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله (القرآن الكريم) إلى شئ من الألسنة ، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية » . (٢)

وقد رأينا - فيما سبق - أن الإنجيل قد ترجم إلى اللغة العربية فى الجاهلية . (٣) يعضد ذلك أيضاً أن ابن قتيبة عاش فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجريين ، وهى فترة ازدهار العلوم العربية ، وبخاصة فى مجال البحث اللغوى . حيث عاصر ابن قتيبةالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) والفراء (ت٢٠٧ هـ) وقد اطلع هؤلاء العلماء وغيرهم - ممن عاش فى ذلك العصر - على ثقافات الأمم الأخرى كالفرس والروم ، وكتب اليهود ؛ ومنها التوراة .

---

(١) تفسير غريب القرآن ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٢) تفسير غريب القرآن ٢١

(٣) راجع ص ٦ من هذا الكتاب .

الثانى :

أنه لم يقطع برأى فى تفسير كلمة (فوم) ؛ فى قوله تعالى :

« قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » . (١)

بل قال : « فيه أقاويل ؛ يقال : هو الحنطة والخبز جميعاً ، قال الفراء : هى لغة قديمة يقول أهلها : فوموا أى اختبزوا ، ويقال : الفوم الحبوب » . (٢)

وهذا دليل صريح على أنه لم يعرف عن العبرية أكثر من أنها لغة اليهود ، ومدون بها كتابهم الذى يقدسونه . لأنه لو قرأ العبرية ، أو عرف العلاقة بينهما وبين اللغة العربية ، لكان كلامه وشرحه لتلك الكلمة (فوم) مختلفاً عن ذلك تماماً . إذ إن كلمة (فوم) سامية قديمة ، فهى فى العبرية שׁוּם s̱ūm وفى الآرامية ܬܘܡܐ Tōwmā ، وهى فى العربية ثوم . (٣)

والفاء فى اللغة العربية تعاقب الثاء فى كثير من الكلمات فيها ، مثل :

- جدف ، جدث . (٤)
- اللفام ، اللثام . (٥)

وبذلك تكون كلمة (فوم) هى (ثوم) ، وليس هناك حاجة لكل ما ذكره من أوجه دلالية سابقة لتلك الكلمة .

---

(١) سورة البقرة ٢ / ٦١

(٢) تفسير غريب القرآن ٥١

(٣) انظر : فصول فى فقه العربية ٤٧

(٤) انظر : لسان العرب (جدث) ١ / ٤١٢ و (جدف) ١ / ٤١٩

(٥) انظر : المرجع نفسه (لثم) ٣ / ٣٤١ و (لفم) ٣ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، وانظر فى تلك الكلمة : التطور النحوى ٣٧ ، ٣٨ ولحن العامة والتطور اللغوى ٣٦ وفصول فى فقه العربية ٤٧

الثالث :

أنه كرر جملة (وقرأت فى الأنجيل) مرتين فى كتابه عيون الأخبار ؛ الأولى فى كتاب الزهد حيث أورد نصاً من إنجيل متى ؛ بدأه بـ : « لا تجعلوا كنوزكم فى الأرض حيث يفسدها السوس » . (١)

والثانية فى كتاب الإخوان ؛ عن المعاتبة والتجنى ، وقد أورد نصاً من إنجيل متى أيضاً ؛ بدأه بـ : « إن ظلمك أخوك فاذهب فعاتبه » . (٢)

وقد نقل فى النص الأول حوالى صفحتين ونصف ، وفى الثانى نصف صفحة ، وقد يكون قرأ ذلك فى لغته السريانية أو اليونانية ثم ترجمه هو ، ويمكن أن يكون قد قرأ ذلك فى إحدى ترجمتى الإنجيل السابقتين .

ب - ابو حيان الأندلسى :

عرف أبو حيان الأندلسى اللغة الحبشية ، وألف فيها كتاباً اسمه (جلاء الغبش عن لسان الحبش) (٣) . وقد أطلعنا على ذلك عند تفسيره قول الله تعالى :

« فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربى » . (٤)

وبالتحديد عند تعرضه لشرح كلمة (كوكب) ، فقال :

« فأما قولهم هندى وهند كى فى معنى واحد ، وهو المنسوب إلى الهند ... فخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت زيادتها فى موضع من المواضع فيحمل هذا عليه ، وإنما هو من باب :

---

(١) انظر : عيون الأخبار ٢/٢٧٠ - ٢٧٢ والنص موجود فى متى ٦ - ١٩ ، ٧ - ١٤

(٢) انظر : المرجع نفسه ٣ / ٢٨ والنص موجود فى متى ١٨ - ١٥ : ١٧

(٣) انظر : البحر المحيط ٤ / ١٦٣

(٤) سورة الأنعام ٦ / ٧٦ .

سبط وسبطر . والذى أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب - إن كان تكلم به - فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ، ودخول كثير من لغة بعضهم فى لغة بعض ، والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنتسب إليه كافاً مكسورة مشوبة بعدها ياء . يقولون فى النسب إلى قندى ؛ قندكى ، وإلى شـــواء شـــوكى ، وإلى الفرس الفرسكى . وربما أبدلت تاء مكسورة ، قالوا فى النسب إلى جبر : جبرتى . وقد تكلمت على كيفية نسب الحبش فى كتابنا المترجم عن هذه اللغة ؛ المسمى بجلاء الغبش عن لسان الحبش . وكثيراً ما تتوافق اللغتان ؛ لغة العرب ولغة الحبش فى ألفاظ ، وفى قواعد من التركيب نحوية ؛ كحروف المضارعة ، وتاء التأنيث ، وهمزة التعدية » . (١)

من خلال هذا النص ، يتبين لنا أن أبا حيان كان يعرف اللغة الحبشية معرفة جيدة . وذلك لأنه استطاع أن يفطن إلى بعض أوجه التشابه بين العربية والحبشية ؛ فى ناحيتى الدلالة والتركيب . ففى الناحية الدلالية ذكر أنهما تتوافقان فى بعض الألفاظ ؛ وهذا صحيح ، وقد سبق أن عرفنا أن هناك بعض الألفاظ المشتركة فى كل اللغات السامية (٢) . ورغم أنه لم يذكر شيئاً من هذه الألفاظ ؛ إلا أننا نقطع بأنه كان على علم بكثير منها ؛ فيما ذكره من تأليف كتابه عن هذه اللغة .

وفى الناحية التركيبية ، ذكر أن اللغتين العربية والحبشية تتوافقان فى حروف المضارعة ، وتاء التأنيث ، وهمزة التعدية . وهذا قول صحيح ، ولكنه يحتاج إلى تقسيم علمى دقيق ، إذ إن حروف المضارعة (أ - ن - ى - ت) أو مور فيماتها ، وكذا تاء التأنيث تتضمان تحت الناحية الصرفية وليس التركيبية النحوية . ولكن لأبى حيان عذره نظراً لأن معظم نحـاة العربية القدامى قد درسوا النحـو مع الصـرف

---

(١) البحر المحيط ١٦٢/٤، ١٦٣ ، وعنه فى فصول فى فقه العربية ٤٤، ٤٥ والمدخل إلى علم اللغة ٢٠٢

(٢) راجع ص١٩ من هذا الكتاب .

دون تفريق بينهما . سوى ما كان من ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) وابن عصفور الإشبيلى (ت ٦٦٩ هـ) .

وحروف المضارعة متفقة فى العربية والحبشية ، وسائر اللغات السامية ، ولكن الخلاف البسيط هو حركة هذه المورفيمات ؛ بين الفتح والكسر . فهى فى العبرية مكسورة ؛ ( ) وفى العربية مفتوحة (أ) ؛ إلا فى لهجة بهراء ؛ التى تكسرها (١) . وفى الحبشة مكسورة كذلك ( ) وفى الآرامية مكسورة أيضاً ( ) (٢) أى إنها (مكسورة فى كل اللغات السامية إلا العربية فهى مفتوحة .

وتاء التأنيث أيضاً مشتركة بين كل اللغات السامية كما سبق ذكر ذلك (٣) . أما همزة التعدية فهى ناحية تركيبية نحوية وهى أيضاً مشتركة بين العربية والحبشية ( ) ، والآرامية ( ) . أما فى العبرية فهى هاء مفتوحة ( ) أو ساكنة ( ) ، وفى الآشورية والمعينية شين مفتوحة (ša) أو سين مفتوحة (sa) . (٤)

وإذا كان قد قرر أنه يعرف اللغة الحبشية معرفة دقيقة ، فإنه لم يكن يعرف من اللغة السريانية إلا ما ترجم منها . يدل على ذلك ما ذكره فى تفسير قوله تعالى :

« إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة » (٥) .

حيث قال : « والظاهر أن (آزر) اسم أبيه ، قاله ابن عباس

---

(١) وتسمى تلك الظاهرة (تلتلة بهراء) . انظر :الكتاب ٤/ ١١٠ـ ١١٣وبحوث ومقالات ٢٦٧

(٢) انظر : فقه اللغات السامية ١١٦ ، ١٢٤ والتطور النحوى ٧٥ - ٧٧

(٣) راجع ص١٧ من هذا الكتاب .

(٤) سورة الأنعام ٦/ ٧٤

(٥) انظر : فقه اللغات السامية ١١٠ والمدخل إلى علم اللغة ٢٣٢ ، ٢٣٣

والحسن والسدى وابن إسحق وغيرهم . وفى كتب التاريخ أن اسمه بالسريانية (تارخ) » (١)

فقوله (وفى كتب التاريخ) يدل على أنه قد رجع إلى ما كتب باللغة العربية وليس بغيرها . إذ إن إطلاق لفظ اسم علم من العلوم ، دون تحديد اللغة التى كتب بهايدل على أن المقروء أو المكتوب بلغة من أطلق هذا الاسم .

وهو أيضاً لا يعرف اللغة العبرية ؛ وهذا هو ما نستنتجه من تفسيره لبعض الكلمات العبرية فى القرآن الكريم مثل :

- كلمة (راعنا) فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ولكن قولوا انظرنا » (٢) .

حيث قال : « قراءة الجمهور (ارعونا) ، وفى مصحف عبد الله وقراءته وقراءة أُبىّ (راعونا) ... وذكر أيضاً (راعونا) ... وقرأ الحسن وابن أبى ليلى وأبو حيوة وابن محيصن (راعناً) بالتنوين ... قيل فى (راعونا) أنه (فاعولا) من الرعونة كعاشورا . وقيل كانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها ، وهى (راعينا) ، فلما سمعوا بقول المؤمنين (راعنا) اقترضوه ، وخاطبوا بها (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يعنون تلك المسبة . فنهى المؤمنون عنها ، وأمروا بما هو فى معناها . ومن زعم أن (راعنا) لغة مختصة بالأنصار فليس بشئ ؛ لأن ذلك محفوظ فى جميع لغة العرب ... » . (٤)

---

(١) البحر المحيط : ٤ / ١٦٣

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٠٤ وراجع ما كتبه ابن قتيبة ص٤٦ من هذا الكتاب .

(٣) يلاحظ هنا تغيير الضمير من التذكير إلى التأنيث ؛ ولعل ذلك الضمير راجع إلى الكلمة نفسها ، أما فى التذكير فهو يرجع إلى القول .

(٤) البحر المحيط ١ / ٣٣٨ ، ٣٣٩

يبدو من هذا النص تردده فى تلك الكلمة على أربعة أقوال هى :
- كلمة على وزن (فاعولا) من الفعل (رعن) .
- لهجة خاصة بالأنصار ؛ مع تضعيفه ذلك القول .
- كلمة عبرية خاصة باليهود للسب .
- كلمة سريانية خاصة باليهود للسب أيضاً .

وهى فى رأى أبى حيان ؛ فى لغتيها العبرية أو السريانية ؛ (راعينا) .

ولكن هذا التردد فى رد تلك الكلمة إلى أصلها ، يدل على عدم معرفته اللغة العبرية أو السريانية .

- كلمة (جبريل) فى قوله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » . (١)

حيث فسرها بقوله : « اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعملية والعجمة ... ومعنى جبر : عبد ، وإيل اسم من أسماء الله » . (٢)

وكلامه هنا فيه شئ كثير من الصحة . إذ إن كلمة (جبريل) مكونة من جزئين هما : (جبر ، وإيل) ، وهى كلمة عبرية ، وهو ما لم يصرح به ، بل اكتفى بأنها أعجمية . ومعنى كلمة جبر גֶּבֶר رجل ، ومعنى كلمة إيل אֵל الله سبحانه وتعالى . والمعنى بذلك يصير (رجل الله) (٣) ، أو كما يرى أبو حيان (عبد الله) .

ونلاحظ هنا ، أن المفسرين قد رأوا أن فى هذه الكلمة (جبريل) ثلاث عشرة قراءة ؛ هى : (جِبْرِيل - جَبْرِيل - جَبْرَئِيل - جَبْرَئِل - جَبْرَئِلّ - جَبْرائيل - جَبْرَاييل - جِبْرال - جِبْرائِل - جِبْراييل- جَبْرِين - جِبْرِين-

---

(١) سورة البقرة ٢ / ٩٧

(٢) البحر المحيط ١ / ٣١٧

(٣) انظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٣٩١

جَبْرائين) . (١)

- كلمة (فوم) ، فى قوله تعالى :

« فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها » (٢) . ففيها نراه يقول : « الفوم ، قال الكسائى والفراء والنضر بن شميل ... هو الثوم ؛ أبدلت الثاء فاء ، كما قالوا فى مغفور مغثور ، وفى جدث جدف ، وفى عاثور عافور » . (٣)

فهو هنا يفسر كلمة (فوم) من خلال اللغة العربية فقط ، ويرجعها إلى كلمة (ثوم) ، ويبرهن على وجود التبادل بين صوتى الفاء والثاء فيها بنظير ذلك فى اللغة العربية ، دون أن يحاول النظر فى تلك الكلمة - التى هى سامية قديمة - كما سبق أن أوضحنا . (٤)

وهو بذلك لا يعرف عن العبرية الكثير ؛ بل يعرف عن الحبشية فقط ، كما يعرف بعض أوجه الشبه بين الحبشية والعربية . ولا يعرف أيضاً السريانية ؛ إلا بالترجمة فقط . أى إنه يجهل الصلة بين العربية وأختيها السريانية والعبرية .

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ٢ / ٣٧ والبحر المحيط ١ / ٣١٧ ، ٣١٨

(٢) سورة البقرة ٢ / ٦١

(٣) البحر المحيط ١ / ٢١٩ .

(٣) راجع ص٤٤ من هذا الكتاب .

ثانياً علماء الأصول : (١)

اعتنى علماء أصول الفقه بدلالة الألفاظ عناية كبرى ؛ وذلك لمحاولة الوصول إلى الدقة فى استنباط الحكم ، ولذلك لم يكن يمر عليهم اللفظ دون معرفة أصله ، وبعض اشتقاقاته ، وما يثيره فى الذهن من دلالات . وكثيراً ما فطنوا إلى ما فطن إليه علماء اللغة المعاصرون لهم ، أو السابقون إياهم ؛ كالخليل بن أحمد ، وابن جنى (٣٩٥ هـ) وأبى عبيد القاسم بن سلام .

فقد عرف بعضهم لغة سامية غير اللغة العربية أو أكثر ، ومن هؤلاء وجدنا اثنين هما :

- أبومحمد على بن حزم الأندلسى (ت ٤٥٧ هـ) .
- أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) .

١- ابن حزم الأندلسى :

عرف ابن حزم اللغتين العبرية والسريانية ، وبعض ما بينهما وبين اللغة العربية من تشابه ، فقال :

« إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقيناً ، أن السريانية والعبرانية والعربية - التى هى لغة مضر وربيعة لا لغة حمير - واحدة ؛ تبدلت بتبدل مسكان أهلها ، فحدث فيها جرش (٢) ؛كالذى يحدث من الأندلسى إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيروانى إذا رام لغة الأندلس ، ومن الخراسانى إذا رام نغمتها . ونحن نجد من سمع لغة أهل (فحص البلوط) ، وهى على ليلة واحدة من قرطبة ؛ كاد يقول : إنها لغة أخرى ، غير لغة

---

(١) آثرت هنا اصطلاح (علماء الأصول) على مصطلح (الأصوليين) ؛ وذلك لما للمصطلح الأخيرمن ظلال سياسية فى وقتنا هذا .

(٢) هكذا فى الأصل (جرش) وقد صححها أستاذنا د . رمضان بلفظ (جرس) ، انظر : فصول فى فقه العربية ٤٣

أهل قرطبة . وهكذا فى كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلاً (١) ،لا يخفى عليه من تأمله . ونحن نجد العامة قد بدلته (٢) الألفاظ فى اللغة العربية تبديلاً ، وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة ؛كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون فى العنب (العِينَب) ، وفى السوط (اسْطَوْط) ، وفى ثلاثة دنانير (ثلثدّا) . وإذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة ، قال (السجرة) ، وإذا تعرب الجليقى أبدل من العين والحاء هاءً ؛ فيقول (مهمدا) إذا أراد أن يقول محمداً ، ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا ؛ من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم ، وأنها لغة واحدة فى الأصل . وإذا قد تيقنا ذلك ، فالسريانية أصل للعربية وللعبرية معاً. والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل عليه السلام ، فهى لغة ولده . والعبرية لغة إسحق ولغة ولده ، والسريانية بلاشك هى لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ؛ بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم » . (٣)

من خلال هذا النص ، يتبين لنا بعض الحقائق التالية :

- معرفة ابن حزم اللغة العبرية واللغة السريانية ، وإرجاعهما واللغة العربية إلى أصل واحد ، وقد رأى أن هذا الأصل هو اللغة

---

(١) هكذا فى الأصل (يتبدل لغتها تبديلاً) ، وقد صححها أستاذنا د. رمضان كما يلى :

(تتبدل لغتها تبديلاً) . انظر فصول فى فقه العربية ٤٣

(٢) هكذا فى الأصل (بدلته) ، وقد صححها أستاذنا د . رمضان بلفظ (بدلت) . انظر : المرجع نفسه ٤٣ .

(٣) الإحكام فى أصول الأحكام ١ / ٣٦ ، ٣٧ وعنه فى فصول فى فقه العربية ٤٣ والمدخل إلى علم اللغة ٢٠٢

السريانية . وبنى رأيه هذا على أن اللغة السريانية هى لغة إبراهيم عليه السلام ، والعبرية لغة ولده إسحق وذريته ، والعربية لغة ولده اسماعيل وذريته .

وفى كلامه هذا شئ كثير من الصحة ؛ حيث إن تلك اللغات ترجع إلى أصل واحد ، هو اللغة السامية الأم . ولكن اعتباره أن اللغة السريانية هى الأم كلام ذو طابع دينى ؛ حيث بناه - كما قال غيره - (١) على أنها هى لغة إبراهيم عليه السلام ، ومع أن هذا الكلام لا دليل عليه (٢) ، فإنه يعتبر قريباً من الرأى القائل بأن اللغة السريانية هى الأقرب للغة السامية الأم . (٣)

- فطن إلى أن سبب اختلاف اللغة السامية الأم ،وتفرعها إلى لغات أخرى ، هو :

١- طول الأزمان .

٢- اختلاف البلدان .

٣- مجاورة الأمم .

وهذا هو ما قال به علماء اللغة المحدثون ؛ حين رأوا أن اللغة تتشعب إلى لهجات ، أو لغات بعد ذلك ؛ حسب قوانين لغوية ؛ منها التطور الذى يصيب بعض أصوات اللغة فى حياتها ، واختلاف البيئات، واختلاف أهلها بأهل لغة أخرى . (٤)

---

(١) ومنهم الطبرى (ت ٣١٠ هـ) والقلقشندى ، انظر : تاريخ الطبرى ١/ ٣١٠ وصبح الأعشى ٣/ ٧ ، ٨ ، ١٠ .

(٢) لقد ذهب د . حسن ظاظا إلى أن موسى عليه السلام- وهو من ولد إسحق - لم يكن يتكلم اللغة العبرية ؛ حينما كان بمصر يدعو فرعون للإيمان . انظر : الفكر الدينى اليهودى ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) راجع ص من هذا الكاب .

(٤) انظر : اللغة والمجتمع ٨١ وما بعدها والمدخل إلى علم اللغة ١٦٣ - ١٦٩ وعلم اللغة ١٦٩ - ١٧٨ ، ٢٢٩ وما بعدها ، وفصول فى فقه العربية ٧٢ وفى اللهجات العربية ٢١ - ٢٥ .

- فطن إلى بعض مظاهر الاختلاف بين اللغات التى تنتمى إلى لغة واحدة ، وذكر منها :

١- اختلاف النغمة والجرس .

٢- اختلاف بعض الأصوات .

وهذا هوبعض مظاهر الاختلاف الصوتى بين اللغات السامية. فمن ناحية النبر stress والتنغيم intonation نجد مثلاً أن الفعل (قتل) فى اللغة العربية ؛ هو نفسه بأصواته هذه (ق - ت - ل) فى كل اللغات السامية ؛ ومن ذلك :

فى العبرية קָטַל وفى السريانية ܩܛܠ

وفى الحبشية ቀተለ وفى العربية قتل qatala (١).

وهنا نرى أن الخلاف فى هذه الأفعال هو فى النبر والتنغيم فقط مع بقاء الأصوات المكونة منها الكلمة كما هى . وهذا هو ما مثل به ابن حزم ، فى كلمتى :

(العنب ، السوط) ، والتركيب العددى (ثلاثة دنانير) .

حيث رأى أن عوام أهل الأندلس ينطقونها هكذا :

(العينب ، اسطوط ، ثلثدًا) .

وسبب هذا النطق لتلك الكلمات هو تغير النبر و فى الكلمة الأولى (العنب) من النون إلى العين ؛ فطالة حركة الكسر لتصير ياءً ، على النحو التالى :

العنب Alʾinab العينب Alʾīnab

وفى الكلمة الثانية حدثت مخالفة صوتية ؛ بفك الإدغام فى السين المشددة فى (السّوط) ، فجاء صوت الطاء ؛ ليخالف بين السينين من ناحية ، ولوجود طاء أخرى آخر الكلمة ؛ وذلك على النحو التالى :

---

(١) انظر : فقه اللغات السامية ١٠٩ والمدخل إلى علم اللغة ٢٢٩ ، ٢٣٠

السّوط Assawt <—— اسطوط astawt

وفى التركيب العددى (ثلاثة دنانير) حدث قطع للكلمة ، ومماثلة بين التاء فى كلمة (ثلاثة) ، والدال فى (دنانير) ؛ على النحو التالى :

ثلاثة دنانير —> ثلاثة دا ——> ثلاثدّا

talatatudananir ------> talatatuda ------> talatadda

ومن ناحية اختلاف بعض الأصوات ، ضرب هو مثال تحول الشين إلى سين وتحول الحاء إلى هاء . ونجد من ذلك فى اللغات السامية تحول الشين العبرية إلى سين عربية ؛ فى مثل :

שֵׁם (sēm) بمعنى اسم ؛ التى تحولت إلى (اسم) بالسين فى العربية . وكذلك تحولت الشين الآرامية (السريانية) والآشورية البابلية إلى سين عربية . كما فى كلمة ܫܢܐ sennā الآرامية بمعنى (سِنّ) العربية . (١)

أما تحول الحاء أو العين إلى هاء فذلك مثال ضربه هو ، وليس موجوداً فى اللغات السامية ؛ حيث توجد تلك الأصوات فى كل اللغات السامية ؛ بل تمتاز بها عن غيرها من اللغات .

ومثاله الذى ضربه لذلك هوكلمة (محمداً) ؛ التى ينطقها الجليقى (مهمداً) ؛ يصدق على أصحاب اللغة الانجليزية والفرنسية ، حيث لا يوجد فى تلك اللغتين صوت الحاء ؛ ولذلك يستبدلون الهاء به ، كما فى :

الكحول حيث تنطق (الكهوْل) Alkohol

وقد سمعت أهل جاكرتا ينطقون (الحمد لله) هكذا : (الهمد لله) ولغتهم هى اللغة الإندونيسية ؛ من مجموعة اللغات الملاوية التى

---

(١) انظر : فقه اللغات السامية ٤٩ ، ٥٠ والمدخل إلى علم اللغة ٢١٦ ، ٢١٨

تتبع الفصيلة الطورانية . (١)

- ربط بين اللغة واللهجة ؛ وذلك من حيث انقسام اللغة إلى لهجات متعددة ؛ وكذا إلى لغات مختلفة ، كما ربط بين مظاهر الاختلاف بين اللغات ذات الأسرة الواحدة واللهجات المتفرعة من لغة واحدة . وذلك أمر صحيح ، حيث إن علم اللغة الحديث يرى أن كل لغة كانت لهجة يوماً ما . (٢)

غير أن الذى نأخذه على ابن حزم - رغم كل ما توصل إليه - أنه أبعد اللغة الحميرية عن الأسرة السامية مع أنها منها ، هى والسبئية والمعينية . (٣)

ب- أبو حامد الغزالى :

جاء فى أحد كتب الغزالى ، مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة ؛ فى جزئية من جزئيات قصة موسى عليه السلام ؛ ومنها :

[لفظ الكتاب العزيز : « واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء » (٤) ، ولفظ التوراة : « وهنا ياذو مصورا عث كالشولغ ». وتفسير هذا اللفظ العبرانى بالعربية « وهذه يدك برصاء كالثلج » (٥)] . (٦)

من هذا النص نستدل على معرفة الإمام الغزالى اللغة العبرية ؛ ذلك لأنه ساق هذه الجملة العبرية السابقة من التوراة كما هى فى لغتها ، ولكن بفونيمات عربية وهى باللغة العبرية :

[illegible]

---

(١) انظر : علم اللغة ٢١٢

(٢) انظر : فصول فى فقه العربية ٧٣

(٣) راجع ص٩ من هذا الكتاب .

(٤) سورة طه ٢٠ / ٢٢

(٥) انظر العهد القديم - سفر الخروج - الإصحاح الرابع ٩١

(٦) الرد الجميل لإلهية عيسى ٩٦

ولو أنه كان لا يعرف العبرية لاكتفى بإيراد النص مترجماً إلى اللغة العربية ، أو ما سماه هو (تفسيره بالعربية) ، ولكنه أورده كما ينطق فى لغته الأصلية العبرية ، ومما يدل على تمكنه من هذه اللغة ، أنه فطن إلى التغير السياقى الذى يصاحب بعض الأصوات العبرية ، وهى (ב - ג - ד - כ - פ - ת) ، حيث تتحول هذه الأصوات إلى نظائرها الرخوة على التوالى (t̲.p.h̲.d̲.g.p) (١) . وذلك عندما كتب هذه الجملة العبرية بالفونيمات العربية ، وراعى تلك التغيرات فى فونيماتها . وهى :

- فى كلمة יָדוֹ ، فكتبها (ياذو) بتغيير الدال ذالاً .
- فى كلمة עֵת ، كتبها (عث) ، بتغيير التاء ثاءً .
- فى كلمة כַּשּׁוֹלֵג ، كتبها (كالشولغ) بتغيير الجيم غيناً .

وهذه الأصوات الثلاثة (الدال ، والتاء ، والجيم) وقعت فى تلك الكلمات فى نهاية مقطع ، أى بعد حركة vowel ، وهو شرط تحويلها إلى نظائرها الرخوة .

ومع ذلك نرى محقق كتاب الغزالى ؛ الذى وردت فيه هذه الجملة يعلق عليها ويقول : « هل كان الغزالى يعرف العبرانية ؟ إن المصادر لا تسعفنا بجواب شافٍ ، وإن كنا نرجح النفى ، وعبارته العبرية صحيحة ... » (٢) .

وردنا على كلام المحقق أن المصادر أيضاً لا تسعفنا عن معرفة أبى حيان الأندلسى أو ابن حزم الأندلسى اللغة العبرية أو السريانية . ولكنا نقرأ كتبهم ، ونرى إشاراتهم لهذاالموضوع أو ذاك ، ثم نرصد ونحلل ونستنتج . فالباحث اللغوى لا ينتظر أن تجيبه المصادر أو

---

(١) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٢١٣

(٢) الرد الجميل لإلهية عيسى هامش رقم ٣ ص ٩٦

تسعفه عن كل سؤال يعن له ، أو استفسار يريده . بل يجب عليه أن يرصد الظاهرة ، ثم يحلل ما يظن أنه يشيرإليها ثم يستنتج حسب المنهج الذى يسير عليه .

ولا يستبعد أن يُلم عالم كالغزالى بلغة غير العربية ، إذ إنه عالم وفقيه ، فقد عاش فى القرن الخامس الهجرى ؛ حيث كانت العلوم العقلية قد نقلت واستقرت ، واطلع العرب على ثقافات غيرهم من الأمم وطبيعة عمل الفقية وعالم أصول الفقه أن يطلع على بعض ما كان سائداً عند الأمم الأخرى من العقائد والشرائع ؛ ذلك لأن شرع من قبلنا يعد مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى . (١)

وهذا الاطلاع قد يكون بالترجمة أو قراءة اللغة الأصلية المكتوب فيها النص الذى يريده الباحث . وقد سبق أن رأينا كيف عرف ابن حزم ذلك .

---

(١) انظر الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٥ / ٩٤٣ وما بعدها .

ثالثاً : اللغويون :

على الرغم من كثرة اللغويين العرب ، وتنوع اتجاهاتهم ومدارسهم ، وتعدد ثقافاتهم واختلاف منابعها ، إلا أنهم لم ينتبهوا إلى اللغات السامية ؛ بل لم يعرفها - أو يعرف واحدة منها -إلا عدد قليل جداً . وقد وردت هذه المعرفة لتلك اللغات فى إشارات بسيطة وصغيرة. وهؤلاء اللغويون هم :

- الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) .
- أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) .
- أبو منصور الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) .
- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى (ت ٥٨١ هـ) .

وسوف نتناول بعض ما كتبه هؤلاء اللغويون ونحلله ، لنرى مدى معرفتهم تلك اللغات أو إحداها .

الخليل بن أحمد :

ورد فى معجم العين للخليل النص التالى :

« وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية » . (١)

يلمح الخليل فى هذا النص إلى أنه يعرف شيئاً عن اللغة الكنعانية ، ولكنه لم يسمها ، بل نسبها إلى كنعان بن سام بن نوح عليه السلام . وقد جاء كلامه عاماً ليس فيه تصريح عن هذه اللغة الكنعانية ، بل اكتفى بقوله إنها تضارع اللغة العربية . وهو بذلك يفطن إلى وجود أوجه شبه بين اللغتين ، ولكنه لم يفصح عنها . ولا ندرى هل قرأ عن تلك اللغة أم عرفها معرفة سطحية فقط ؟

ويبدو أنه كان على معرفة طفيفة بتلك اللغة ؛ إذ إنه عرف أنها

---

(١) العين ١ / ٢٣٢ وعنه فى فصول فى فقه العربية ٤٣ والمدخل إلى علم اللغة ٢٠١

مـاتت منذ زمـن ، ولم يعد يتكلم بهـا أحد . ولذلك عبـر عن ذلك بصيـغة (كان + الفعل المضارع) أو مـا يضارع المـاضى المستمر فى اللغة الانجليزية ؛ فقال :

(كانوا يتكلمون) . ولا يبدو من النص أى معرفة بأية لغة سامية أخرى ، كما لا يبدوأى أثر فى كتاب العين لتلك المعرفة ، أو فيما كتبه عنه تلميذه سيبويه(ت ١٨٠ هـ) فى كتابه (الكتاب) . ولو حدث ذلك لتغيرت مناهج النحاة وآراؤهم فى ظواهر اللغة العربية التى عالجوها فى كتاباتهم ، إذ إن الخليل كان من رواد اللغويين العرب ، وقد أثر فكره وفكر تلميذه سيبويه فى كل من جاء بعدهما .

أبو عبيد القاسم بن سلام :

جاء فيما كتبه أبو حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) عن أبى عبيد أنه قال : « للعرب فى كلامها علامات لا يشاركهم فيها أحد من الأمم نعلمه ؛ منها إدخال الألف واللام فى أول الاسم ، وإلزامهم إياه الإعراب فى كل وجه ؛ فى الرفع والنصب والخفض . كما أدخلوا فى (الطور) ، وحذفوا الألف التى فى الآخر ؛ فألزموه الإعراب فى كل وجه وهو بالسريانية (طور) على حال واحد ؛ فى الرفع والنصب والخفض . وكذلك (اليم) هو بالسريانية (يما) ، فأدخلت العرب فيه الألف واللام ، وصرفته فى جميع الإعراب على ما وصفت . » (١)

يبدو من هذا النص أن أبا عبيد كان يعرف اللغة السريانية معرفة سطحية دون التعمق فى قواعدها اللغوية ، أو معرفة بعض أوجه الشبه بينها وبين اللغة العربية . بل عرف فقط وجهاً من أوجه الخلاف بينهما وهو بقاء الكلمة فى السريانية على وجه واحد ، رغم تغير موقعها الوظيفى فى الجملة ؛ أما فى اللغة العربية فتتغير الكلمة حسب موقعها الوظيفى فى الجملة ؛ بالرفع أو النصب أو الجر ، وهو ما يسمى الإعراب . ورغم

---

(١) الزينة فى الكلمات الإسلامية ٧٧/١ وعنه فى فصول فى فقه العربية ٤٣والمدخل إلى علم اللغة ٢٠٢

ما قاله أبو عبيد هنا ، فإن ذلك لا يدل على معرفة عميقة وعلم بتلك اللغة ، وذلك لما يلى :

– أنه استشهد بكلمتين فقط ، هما (طورا) ܛܘܪܐ Ṭūrā و (يّما) ܝܡܐ Yammā ، وهما كلمتان موجودتان فى القرآن الكريم ، فالأولى فى قوله تعالى : (وطور سنين) (١) ، والثانية فى قوله تعالى:(فألقيه فى الميم فليقه اليم بالساحل) . (٢)

وقد حكم بعدم عربيتهما كثير من المفسرين . (٣)

– لم يفطن أبو عبيد إلى أن هناك تغييراً يلحق آخر الكلمة فى اللغة السريانية ، ولا يأتى هذا التغيير حسب المواقع الوظيفية المختلفة للكلمة ، بل يأتى حسب التعريف والتنكير . ففى حالتى التعريف والتنكير تختم الكلمة بمقطع طويل مفتوح ولكنه فى التعريف ذو حركة فتح طويلة (a = ܵ) ، وفى حالة التنكير تتحول هذه الفتحة الطويلة إلى حركة كسر ممالة طويلة (e = ܹ) ، فتصير كلمة (طور) فى حالة النكرة هى ܛܘܪܐ Ṭūrē وفى حالة المعرفة تصير ܛܘܪܐ Ṭūrā وكذا كلمة (يمّ) فى النكرة ܝܡܐ Yammē وفى حالة المعرفة تصير ܝܡܐ Yammā (٤) .

– لم يظهر أى أثر لمعرفة أى عبيد اللغة السريانية ، سواء فيما

---

(١) سورة التين ٩٥/٢ وق تكررت تلك الكلمة فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع أخرى ، فى سورة البقرة ٦٣/٢ والنساء ١٥٤/٤ والمؤمنون ٢٠/٢٣

(٢) سورة طه ٢٠ / ٣٩

(٣) انظر : تفسير القرطبى ٤٣٦/١ والإتقان فى علوم القرآن ١٣٩/١ ، ١٤٠ ولسان العرب (طور) ٦٢٤/٢ و (يم) ١٠١٦/٣

(٤) انظر : فى التنكير والتعريف فى اللغات السامية ، ومنها السريانية : فقه اللغات السامية ١٠٣ طور النحوى ١٤٣ والمدخل إلى علم اللغة ٢٤٤

كتبه هو ؛ كالغريب المصنف أو ما نقله عنه غيره من اللغويين ، إلا هذا النص السابق .

أبو منصور الجواليقى :

عرف أبو منصور الجواليقى شيئاً عن اللغة الآرامية ، وقد جاء ذلك فى كتابه (المعرب) عند شرحه لكلمتين هما :

- برطلة ، حيث قال إنها « كلمة نبطية ، وليست من كلام العرب ... قال الأصمعى (بر) ابن والنبط يجعلون الظاء طاء ، وكأنهم أرادوا (ابن الظل) » . (١)

- ناطور ، وقال أيضاً إنها كلمة نبطية ، « قال الأصمعى هو الناظور ، والنبط تجعل الظاء طاء ألا تراهم يقولون : برطله ، وإنما هو ابن الظل » (٢)

ومع أنه هنا لم يفصّل هاتين الكلمتين أو يشرحها ، بل اكتفى بردها إلى اللغة الآرامية التي سماها اللغة النبطية ، إلا أن هذا يدل على معرفة بسيطة بتلك اللغة . ذلك أن الظاء العربية تقابلها طاء آرامية ، وبعض الكلمات التى بها طاء آرامية قد تقابلها ظاء عربية أيضاً . (٣)

ولعله حكم بعدم عربيتهما استناداً إلى الوزن الصرفى أو تركيب بنيتيهما الصرفيتين . دون معرفة كافية باللغة السريانية ، لأن وزن كلمة (برطلة) هو (فُعْلُلَة) ، وهو غير مستخدم كثيراً فى أوزان الأسماء العربية . وكذلك وزن كلمة (ناطور) هو (فاعول) ، وهو ليس من أوزان المصادر ، أو صفة الفاعل ، أو صفة المفعول ، أو الظرف ، أو صفة المبالغة ، أو الصفة المشبهة . بل هو

---

(١) انظر : المعرب من الكلام الأعجمى ١١٦ وحاشية ابن برى ٤٦ وجمهرة اللغة ٣٠٧/٣ وعن الأول فى علم اللغة العربية ٢١١

(٢) انظر : المرجع نفسه ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، وعنه فى علم اللغة العربية ٢١١ وجمهرة اللغة ٣٧٩/٢

(٣) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٢١٦ ، ٢١٧

امتداد سرياني لصيغة (فَعول) مفتوحة العين في اللغة العربية (١) ، كما أطالت العبرية صيغة الفعل الماضي (فَعَل) إلى فاعَل (٢) ، في مثل ؛ שָׁמַר Samar بمعنى (حرس) ، وהָלַךְ Halah بمعنى (هلك أو ذهب) .

ولذلك نجد المازني (ت ٢٥٥ هـ) لا يورد هذين الوزنين ضمن أوزان الأسماء في كتابه التصريف ؛ الذي شرحه ابن جني (ت ٣٩٥ هـ) .

ومما يحمد لأبي منصور أنه عرف أن كلمة (بر) في اللغة العربية رغم أنه نقلها أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) عن الأصمعي (ت ٢١٥هـ) وكذلك عن ابنِ دريد - كلمة سامية قديمة ؛ وجدت في النقوش القديمة كنقش النمارة المكتشف سنة ١٩٠٥م والمكتوب سنة ٣٢٨ م . (٣) وهي مستخدمة في السريانية كثيراً ، وقد دخلت العربية في أسماء غير المسلمين ؛ مثل :

برسوم ، وأصلها برصوماً ܒܪܨܘܡܐ barsūma معنى ابن الصوم .

ومما يدل على معرفة الجواليقي البسيطة للغة الآرامية (السريانية) تردده وعدم قطعه في شرح بعض الكلمات في كتابه ؛ مثل قوله عن كلمة (برخ) :

---

(١) ولذلك نرى كلمات هذا الوزن غير عربية ؛ مثل (هاروت - ماروت - هارون - قارون - تابوت) . انظر : لسان العرب (تبت) ١ / ٣٠٩ (قرن) ٧٧/٣ ، (مرت) ٤٦٠/٣ (هرت) ٧٩٣/٣ ، (هرن) ٣ / ٨٠٠ أما لفظ (ماروت) فلم يذكره . وكذا حكم ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٥ هـ) في كثير من كلمات هذا الوزن . انظر : الممتع ٩٧/١

(٢) انظر : فقه اللغات السامية ١٠٩ ، ١٢٥ والمدخل إلى علم اللغة ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٥٥ - ٥٧ ومصادر الشعر الجاهلي ٢٧ - ٢٩ وراجع ص من هذا الكتاب وتاريخ اللغات السامية وفي اللهجات العربية ٣٤ ، ٣٥ وتاريخ الأدب العربي ٦٣/١ وورد كذلك في نقش حران ايضاً .

البرخ الكثير ، قال أبو بكر (١) هو لغة يمانية ، وأحسب أصلها عبرانياً أو سريانياً ، وهو البركة والنماء » . (٢)

فهو هنا يتردد في شرح كلمة (برخ) ، ومع ذلك يردها إلى العبرية أو السريانية رداً بحذر ؛ دون أن يقطع فى أمرها . وهى كلمة سامية مشتركة فى اللغات السامية ، وليست خاصة بلغة سامية دون أخرى . فهى فى العربية (بركة) وفى العبرية בְּרָכָה Bārah ، وفى السريانية ܒܘܪܟܐ Barkā (٣) .

أبو القاسم السهيلى :

عرف السهيلى شيئاً يسيراً عن اللغة السريانية فقال :

« وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى ، أو يقاربه فى اللفظ » . (٤)

ورغم أن هذا الكلام صريح فى معرفة السهيلى باللغة السامية ، إلا أنه يحتاج إلى توضيح وتبيين . ورغم تعبيره بلفظ (كثيراً) الدال على مدى اطلاعه على تلك اللغة ، إلا أنه أيضاً لم يبين لنا أوجه الاتفاق بين اللغتين وأوجه المقاربة اللفظية بينهما .

أما الاتفاق بين اللغتين فهو كثير وتشترك فيه بقية اللغات السامية ، وقد سبق أن أوضحناه آنفا . (٥) وأما المقاربة فى اللفظ فهو

---

(١) هو أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة (ت ٣٣٠ هـ) .

(٢) المعرب من الكلام الأعجمى ١٢٩ ، وانظر : حاشية ابن برى ٥٠

(٣) ويلاحظ أن الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) قد ردها إلى اللغة الفارسية ، انظر : فقه اللغة وسر العربية ٣١٤

(٤) التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن الكريم ١١ وعنه فى فصول فى فقه العربية ٤٤ والمدخل إلى علم اللغة ٢٠٢ ويعد كتاب السهيلى هذا أول كتاب يتناول الأسماء المبهمة فى القرآن الكريم . وله كتاب آخر فى الموضوع نفسه هو (الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين) .
انظر : معجم مصنفات القرآن الكريم ٣ / ١٤٣ ، ١٩٨/٤

(٥) راجع ص٦٦ من هذا الكتاب .

كثير أيضاً ، ويظهر بوضوح فى الناحية الدلالية ، حيث إنها أكثر النواحى اللغوية تقارباً بين الساميات عموماً ، وبين السريانية والعربية خصوصاً . (١)

ورغم تلك المعرفة من جانب السهيلى ، فإنها لم تثمر فى مؤلفاته اللغوية - سواء الأمالى أم نتائج الفكر - شأنه شأن كل اللغويين العرب.

مما سبق يتبين لنا مدى بعد اللغويين العرب القدماء عن اللغات السامية ، ومدى ضآلة علم من علم منهم إياها . وسبب ذلك هو أن الدرس اللغوى عندهم قد « ارتبط فى أذهانهم بقدسية العربية ، وارتفاع شأنها على ما عداها من اللغات واللهجات . ومن هنا انصرفوا عن الدرس المقارن للعربية ؛ فى إطار فصيلتها السامية من جانب ، ولهجاتها المحلية من جانب آخر . ولذا نرى براعتهم الفائقة فى تسجيل الظواهر اللغوية فى العربية ، بمقدار ما نرى أوهامهم الكثيرة فى البحث عن أسرار هذه الظواهر وتعليلها » . (٢)

ومن اللافت للنظر أن القرن الرابع الهجرى ؛ الذى كان حافلاً بالعلوم اللغوية والانفتاح على غير العرب كالفرس واليهود واليونان ووجود عمالقة الفكر اللغوى العربى كابن دريد (ت ٣٣٠ هـ) (٣) وأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) وابن جنى (ت ٣٩٥ هـ) رغم ذلك كله لم نجد واحداً منهم يعرف شيئاً عن اللغات السامية أو إحداها.

---

(١) انظر: التطور النحوى ٢٢٠

(٢) فصول فى فقه العربية ٧

(٣) يلاحظ أن أبا منصور الجواليقى قد نقل عن ابن دريد ؛ الذى نقل عن أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى كلمة (برطله) . راجع ص ٦٢ من هذا الكتاب .

بل على العكس من ذلك ، وجدت دراسات مقارنة بين العربية والعبرية من جهة ، وبين العربية والآرامية من جهة أخرى ؛ فى هذا القرن نفسه ، وقد تم معظمها فى المغرب والأندلس على يد لغويين يهود ؛ كتبوها باللغة العربية . ومن هؤلاء أبو يوسف الفرقسانى ، وداود بن إبراهيم ، ودوناش بن تميم ، وإسحق بن بارون ، وجودة بن قريش . (١)

وقد عالج كتاب جودة بن قريش ؛ فى القرن الرابع الهجرى ؛ العلاقة بين العبرية والآرامية ، وبين العبرية والعربية ، وانتهى إلى أن هذه اللغات الثلاث قد صيغت بالطبيعة بطريقة واحدة . (٢)

أما كتاب ابن بارون فهو فى القرن الخامس الهجرى ، واسمه (كتاب الموازنة بين اللغة العبرية والعربية) ، وقد أثبت فيه أن اللغة العبرية والعربية والسريانية متقاربة الاشتقاق والتصريف واللفظ ؛ لقرب مزاج أهلها ولقربهم فى الإقليم . (٣)

وقد طبع كتابه هذا فى روسيا ، على يد المستشرق الروسى ك . كوكوفتسوف P.K. Kokovetsov سنة ١٨٩٣ م .

وهناك نقول كثيرة عن التوراة ، فى كتب التاريخ . (٤)

كما لا نعدم إشارات بسيطة متفرقة عند بعض العلماء العرب وبخاصة المعجميين ؛ فى شرح دلالة كلمة ما ؛ ومن هذا ما نلاحظه عن الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) حين تعرض لشرح كلمة (فهر) فقال :

---

(١) انظر : البحث اللغوى عند العرب ٢٢٤ – ٢٢٦ نقلاً عن :

- H.Hirschfeld ; Literary History of Heibrew Grammarians ; PP. 16 - 23

(٢) انظر : البحث اللغوى عند العرب ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ٢٢٦

(٤) انظر:تاريخ الطبري ١/١٤١ .١٥٢

« وكأنهم اليهود خرجوا من فُهْرهم وهو مدارسهم ، تعريب : بُهْر بالعبرانية » . (١)

ونلاحظ مثل ذلك أيضاً عن ابن منظور (ت ٧١١ هـ) حين تعرض لبعض الكلمات مثل (طور) فقال :

« وهو بالسريانية طورى » . (٢)

وقال فى شرح كلمة (يم) : « وزعم بعضهم أنها لغة سريانية » . (٣)

وقل مثل ذلك فى كثير من الكلمات التى ترجع إلى اللغة العبرية أو السريانية .

وفى حديث أبى العباس القلقشندى عن السنة العبرية يقول :

« جعلوا سنيهم قسمين ؛ الأول بشيطا ومعناه بسيطة ، وهى القمرية ، والثانى معبارت ومعناه كبيسة » . (٤)

ولكن هذه الملاحظات البسيطة - عند هؤلاء - لا تدل على معرفتهم إحدى هذه اللغات السامية ، بل هى مجرد بدهيات أو مسلمات نقلت عمن قبلهم ، بدليل أن القلقشندى رأى أن فونيمات العبرية ما بين ٣٢ أو ٣٦ فونيماً . (٥)

---

(١) أساس البلاغة (فهر) ٤٨٥

(٢) لسان العرب (طور) ٢ / ٦٢٤

(٣) المرجع نفسه (يمم) ٣ / ١٠١٦

(٤) صبح الأعشى : ٢ / ٤٠٠

(٥) انظر : المرجع نفسه ٣ / ١٥

الخاتمة

تناول هذا الكتاب قضية اللغات السامية ، ومدى معرفة المجتمع العربى لها ، سواء كانت تلك المعرفة من جانب رجال من بعينهم فى الجاهلية وصدر الإسلام ، أم علماء فيما تلا ذلك من عصور ؛ حتى القرن الثامن الهجرى .

وقد توصل الكتاب إلى النتائج التالية :

١- عرفت اللغة العبرية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بسبب عاملين هما :

أ- انتشار اليهود فيها وبخاصة فى اليمن ويثرب .

ب- تعلم بعض العرب تلك اللغة لهدف دينى ؛ هو انتظار الإسلام .

٣- عرفت اللغة الحبشية قبل الإسلام ، عن طريق رحلة اليمن والتعامل بين العرب والأحباش واستيطان بعضهم مكة ؛ كبلال بن رباح

٤- تُرجم الإنجيل (العهد القديم) من لغته إلى العربية قبل الإسلام ، ولكن لا ندرى من أية لغة ترجم ومن قام بهذه الترجمة .

٥- عرف المسلمون اللغة العبرية ، وذلك لاختلاطهم باليهود فى المدينة المنورة .

٦- أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة بتعلم اللغة العبرية ؛ لضمان صحة الترجمة فيما يكتب لهم أو يقرأ عليه منهم .

٧- كان لاختلاط مجتمع الصحابة فى المدينة المنورة أثره فى معرفة بعضهم اللغة العبرية أو الحبشية .

٨- عرف اثنان من المفسرين بعض اللغات السامية ، وهما ابن قتيبة وأبو حيان الأندلسى .

٩- عرف اثنان من علماء الأصول بعض اللغات السامية ، وهما الإمام الغزالى وابن حزم .

١٠- عرف أربعة من اللغويين بعض اللغات السامية ، وهم الخليل ابن أحمد ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو منصور الجواليقى ، وأبو القاسم السهيلى .

١١- كان بعض هؤلاء العلماء يعرف إحدى اللغات السامية معرفة سطحية ، دون النظر إلى أوجه الشبه بينها وبين العربية ، ومنهم من كان يعرف العلاقة بينهما .

١٢ لم يخل قرن من القرون الهجرية ؛ منذ الأول حتى الثامن ؛ من معرفة عالم أو أكثر بإحدى اللغات السامية أو العلاقة القربى بينها وبين العربية .

١٣- لم تثمر معرفة أى من هؤلاء العلماء فى دراسة بعض قواعد اللغة أو تراكيبها ؛ فى ضوء المقارنة بين هذه اللغات السامية والعربية .

١٤- كان سبب عدم إثمار تلك المعرفة فى ظهور منهج مقارن هو نظرة العلماء العرب للغة العربية نظرة تقديس وإجلال ؛ لنزول القرآن الكريم بها . وبذلك درسوها دراسة معيارية فى غالب الأحيان .

المراجع

أولاً المراجع العربية

١- الإتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى - المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٣ م .

٢- الإحكام فى أصول الأحكام - أبو الحسن الآمدى - تحقيق : جماعة من العلماء - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٣- الإحكام فى أصول الأحكام - ابن حزم الأندلسى - تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز - مكتبة عاطف - القاهرة ط١ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٤- الاستيعاب فى أسماء الأصحاب - القرطبى المالكى - على هامش كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة - دار الكتاب العربى - بيروت - د . ت .

٥- أسد الغابة فى معرفة الصحابة - ابن الأثير - دار إحياء التراث العربى - بيروت - د . ت .

٦- الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلانى - دار الكتاب العربى - بيروت د . ت .

٧- الأغانى - أبو الفرج الأصفهانى - بولاق - القاهرة ١٢٨٥ هـ .

٨ - البحث اللغوى عند العرب ، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر - د . أحمد مختار عمر - عالم الكتب - القاهرة - ط٤ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٩- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسى - دار الفكر - بيروت ط٢ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١٠- البرهان فى علوم القرآن - بدر الدين الزركشى - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢ .

١١- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة الدينورى - تحقيق : السيد أحمد صقر - بيروت - ط٣ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

١٢- تاريخ الأدب العربى - جـ ٤ - كارل بروكلمان - ترجمة : د.رمضان عبد التواب و د . يعقوب السيد بكر - دار المعارف ط٢ القاهرة د . ت ، والجزء الأول ترجمة عبد الحليم النجار - دار المعارف - القاهرة ط ٥ - ١٩٨٣ .

١٣- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - د.حسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ٧ - ١٩٦٤ م .

١٤- تاريخ الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار سويدان - بيروت ط ٢ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

١٥- تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ولفنسون - دار القلم - بيروت ١٩٨٠م.

١٦- تذكرة النحاة - أبو حيان الأندلسى - تحقيق : د. عفيف عبدالرحمن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٧- التطور النحوى للغة العربية - برجشتراسر - تقديم وتعليق د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

١٨- التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام - الإمام السهيلى - القاهرة ١٩٣٨ م .

١٩- تفسير الطبرى (جامع البيان فى تفسير القرآن) ابن جرير الطبرى - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٢٠- تفسير غريب القرآن - ابن قتيبة الدينورى - تحقيق السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٢١- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - أبو عبد الله القرطبى - دار الكتب المصرية - القاهرة ط ٣ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٢- جمهرة اللغة-ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) دار صادر - بيروت -د.ت.

٢٣-حاشية ابن برى على كتاب المعرب للجواليقى (فى التعريب والمعرب) - تحقيق د. إبراهيم السامرائى - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٤- الحقول الدلالية فى القراءات القرآنية - د. أحمد عارف حجازى - دار حراء - المنيا - مصر ١٩٩٤ م .

٢٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر البغدادى - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة - ط ٢ - د . ت .

٢٦- دراسات فى فقه اللغة - د . صبحى الصالح - دار العلم للملايين - بيروت ط ٨ - ١٩٨٠ م .

٢٧- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل - الإمام أبو حامد الغزالى - تحقيق : د. محمد عبد الله الشرقاوى - دار الهداية - القاهرة ط ٢ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٢٨- الرسالة - محمد بن إدريس الشافعى - تحقيق : أحمد محمد شاكر - القاهرة د . ت .

٢٩- الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية - أبو حاتم الرازى - تحقيق : حسين الهمدانى - القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م .

٣٠- السريانية - نحوها وصرفها - مع مختارات من نصوص اللغة - د . زاكية رشدى - دار الثقافة - القاهرة - د . ت .

٣٠- سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) ابن هشام - تحقيق طه عبد الرؤف - دار الجيل - بيروت ١٩٧٥ م .
٣١- شرح المفصل - أبو البقاء بن يعيش - مكتبة المتنبى - القاهرة - د . ت .
٣٢- الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينورى - عالم الكتب - بيروت - د . ت .
٣٣- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - أبو العباس القلقشندى - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة - د . ت .
٣٤- صحيح البخارى - محمد بن إسماعيل البخارى - استنبول ١٩٧٩م .
٣٥- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحى - تحقيق محمود محمد شاكر -مطبعة المدنى - القاهرة - د.ت .
٣٦- الطبقات الكبرى - ابن سعد - تقديم إحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٣٧- العربية - دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب - يوهان فك - ترجمة وتعليق د . رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٣٨- العربية واللغات السامية - د . محمد قنطر - بحث فى كتاب ندوة اللسانيات واللغة العربية بالجامعة التونسية - من ١٣:١٩ ديسمبر سنة ١٩٧٨ م - المطبعة الثقافية - تونس ١٩٨١ م .
٣٩- علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية - د . محمود فهمى حجازى - الكويت ١٩٧٣ م .

٤٠- العنصر السامى فى اللغة المصرية القديمة - د. عبد المنعم الكاروري - بحث فى المجلة العربية للدراسات اللغوية - معهد الخرطوم الدولى للغة العربية - المجلد الثانى -العدد الثانى رمضان ١٤٠٤ هـ/يونيو ١٩٨٤م .

٤١- العهد القديم ، ضمن (الكتاب المقدس) - دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط ١٩٨٨ م .

٤٢- العين - الخليل بن أحمد - تحقيق د. عبد الله درويش - مطبعة العانى - بغداد ١٩٦٧ م .

٤٣- عيون الأخبار - ابن قتيبة الدينورى - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .

٤٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى وآخرين - دار المعرفة - بيروت - د . ت .

٤٥- فجر الإسلام - أحمد أمين - دار الكتاب العربى - بيروت ط١ ١٩٧٩ م .

٤٦- فصول فى فقه العربية - د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة - ط ٢ ١٤٠٤/١٩٨٣ م .

٤٧- فقه اللغة - د . على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة - ط ٨ - د . ت .

٤٨- فقه اللغة المقارن د . إبراهيم السامرائى - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٣ ١٩٨٣م .

٤٩- فقه اللغة وسر العربية - أبو منصور الثعالبى - بيروت د . ت

٥٠- فقه اللغات السامية - كارل بروكلمان - ترجمة د . رمضان عبد التواب - جامعة الرياض - ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

٥١- الفكر الدينى اليهودى ، أطواره ومذاهبه - د . حسن ظاظا - دار القلم - دمشق ط ٢ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٥٢- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية - جورجى زايدان - مراجعة وتعليق : د . مراد كامل - دار الهلال - القاهرة ١٩٦٩ م

٥٣- فى قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية - مع النصوص والمقارنات - د. رمضان عبد التواب - الخانجى - القاهرة ط ٢ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٥٤- فى اللهجات العربية - د إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ط٤ ١٩٧٣ م .

٥٥- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث - د . عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجى - القاهرة د . ت .

٥٦- الكافية فى النحو - ابن الحاجب - شرح رضى الدين الاستراباذى - دار الكتب العلمية - بيروت - د . ت .

٥٧- الكامل فى اللغة والأدب - أبو العباس المبرد - مكتبة المعارف - بيروت - د . ت .

٥٨- الكتاب - سيبويه - تحقيق : عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة - ط ٢ - د . ت .

٥٩- لحن العامة والتطور اللغوى - د . رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٧ م .

٦٠- لسان العرب - ابن منظور المصرى - تقديم : عبد الله العلايلى - بيروت - د . ت .

٦١- اللغة - جوزيف فندريس - ترجمة الدواخلى والقصاص - القاهرة ١٩٥١ م .

٦٢- اللغة بين الفرد والمجتمع - د . عبد الغفار هلال - بحث فى مجلة اللسان العربى - العدد الثالث والعشرون ١٩٨٣م مكتب تنسيق التعريب - الرباط - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية .

٦٣- اللغة والمجتمع - د . على عبد الواحد وافى - دار عكاظ - جدة ط ـ ٤ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٦٤- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى - د . رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة - ط١ ١٩٨٢م / ١٤٠٣ هـ .

٦٥- مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين - د . على إبراهيم النملة - بحث فى مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - العدد الرابع رجب ١٤١١ هـ .

٥٦- مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية - د. ناصر الدين الأسد - القاهرة ١٩٥٨ م .

٦٧- المعارف - ابن قتيبة - حققه وقدم له د . ثروت عكاشة - دار المعارف - القاهرة ط ٤ ١٩٨١ م .

٦٨- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم - تحقيق : أحمد محمد شاكر - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٦٠ هـ .

٦٩- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام المصرى - تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة على صبيح - القاهرة د . ت .

٧٠- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - د . جواد على - دار العلم - بيروت - ط ٢ ١٩٧٦ م .

٧١- المقتضب - أبو العباس المبرد - تحقيق : عبد الخالق عضيمة - القاهرة ١٣٩٩ هـ .

٧٢- المنصف - شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى لأبن جنى - ترجمة : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - مكتبة مصطفى الحلبى - القاهرة ط ٢ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٧٣- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل - د . على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر - القاهرة ط ٤ .١٩٨٠ م .

٧٤- همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية - جلال الدين السيوطى - تصحيح بدر الدين النعسانى - دار المعرفة - بيروت - د . ت .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1- C. Brumfit : Communicative Methodology in longuage Teaching ; London ; 1984 .

2- D . A . Wilkins ; Linguistics in language Teaching ; London ; 1982 .

3- E . H . Sturtevant ; Linguistic change , An lntroduction to the Historical study of language , with a new Introduction by ; Eric P. Homp . London , 1961 .

4-Encyclopeadia Britannica ; U.S.A. , 1994 .

5- H . A . Gleason : An Introduction to Desciptive linguistics ; London ; 1978 .

6- H. B. Beardsmore ; Bilingualism; Basic Principles; G.B. Cleverdon Tieto; 1982 .

7- H. Dauglas Brown; learning a second culture, an Essay in Culture Bound; Brdging the culturell gap in languge Teaching ; Edited by : Joyce Merrill ; Cambridge University ; New york ; 1987 .

8- H . Hirschfeld ; leterary History of Hebrew Grammarians ; London ; 1926 .

9- Mario Pei ; Glossary of linguistic Terminology Teaching ; London ; 1964 .

10- M . H . Halliday ; the linguistic science and Longuage teaching ; London , 1964 .

11- O. Jespersen ; Language ; Its Nature , Development , and origin ; London ; 1964 .

12- Ronalld A . Hall; Introductory Linguistics ; New york ; 1964 .

13- P. Trudgill; Sociolinguistics; An Introduction; Penguin Books , London ; 1981 .

الفهرس

الموضوع	الصفحة